(١٥)
نجاحك في ترشيد الاستهلاك والحفاظ على ميزانية أسرتك

لا شك أن المال هو عصب الحياة الإنسانية، فالإنسان لا يحيا بدون المال ولا يستطيع التملك أو الاقتناء أو حتى التغذية التي يحيا بها بدون المال والأسرة باعتبارها خلية في بناء المجتمع فالفرد لا يستطيع البقاء أو الاستمرار في الحياة بدون مال فالمال هو المقوم الرئيس لحياة الأسرة المعاصرة وإذا كان المال هو الذي يسهل أمور وحاجيات الأسرة ويلبي للأفراد رغباتهم وما يحملونه من هموم الطلبات والمتطلبات الباهظة الثمن وما يحلمون به فيجب على كل إنسان أن يقوم بعمل ميزانية خاصة تتوافق مع ما يدخل له من مال في نهاية كل شهر أو في نهاية كل سنة أو نصف سنة ولا يستطيع الإنسان أن يحيا حياة مؤمنة وسعيدة بدون أن ينظمها ويرتبها في ضوء ما يكسبه من أموال وفي ضوء دخله عن طريق عمله الحكومي أو عن طريق مشاريعه الخاصة والمفروض على الإنسان عندما يكسب المال أن ينظمه بين ما يدخره من جزء منه وما ينفقه في حياته على معيشته الخاصة من مأكل وملبس وصحة ونزهة ولا يجب على الإنسان أن يغلب طرف من هذه الأطراف على الآخر حتى يكون متوازنًا ومعتدلاً فلا ينفق كل ماله على المأكل بكل مشهياته وبشكل عشوائي ومبالغ فيه كما لا ينفقه على حب الملبس الشديد والبذخ في شراء الأزياء وأحدث الموديلات وما يلزم ومالا يلزم منها فيسرف في هذا المجال بشكل يوقعه في عجز في ميزانية أسرته كما أنه وفي الوقت ذاته لا يجب على الإنسان أن ينفق ماله كله في حب الرحلات والتجوال في الخارج والداخل وفي النزهات والترويح عن النفس بشكل عشوائي ومسرف ومترف لا

يرضى عنه الله وقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز "وكلوا واشربوا ولا تسرفوا" كما قال في محكم آياته كذلك:- "ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملومًا محسورًا" فالله قد نهى عن التبذير ونادى بالاعتدال في الإنفاق لأن ذلك يصلح من أحوال الناس ويجعلهم معتدلين وناجحين في إدارة حياتهم وإذا كانت مسؤولية التربية والإدارة الحكيمة تقع على عاتقك يا سيدتي فإن من أولويات مهامك هي تنظيم ميزانية أسرتك بما يتناسب مع دخلك ومتطلبات حياتك الفعلية والترفيهية أو الضرورية والثانوية وإذا كان الزوج في المنزل هو مصدر المال وهو الذي يعول الأسرة وعليه تقع سائر المسؤوليات المالية والالتزامات العائلية فإن المرأة تعد في بيتها هي المديرة المسؤولة والحكيمة العاقلة المدبرة لمسارات مال زوجها نحو صالح الأسرة أو نحو تخريب ميزانية وإحداث أزمة وإرباك الوضع المالي للعائلة فدورك يا سيدتي يكون هو دور المسؤولة عن الإنفاق ومصادره وأهميته وكذلك فأنت التي تضعي المعايير الخاصة بالمنصرف والمدخر في ميزانية أسرتك والأسس التي يقوم عليها الوضع المالي لحياة زوجك وأولادك حتى لا تحدث انتكاسة في الميزانية وإذا كان الرجل وهو يمثل المصدر الرئيس لميزانية الأسرة ومصدر دخلها الذي تعيش به هذا الرجل يعطي لزوجته المال لكي تنفق وهو لا يمنحها المال لكي تلقي به في غير فائدة أو في غير صالح الأسرة .. لكنه عندما يعطيها ماله إنما يلزمها ويحملها مسؤولية ترشيد إنفاقه وإسرافه في مواضعه الهامة والرئيسية وفيما يفيد كل فرد من أفراد الأسرة أنه بذلك يحمله المسؤولية الكاملة عن كل فلس من فلوسه وكل درهم من دراهمه وقبل أن يسألها الزوج عن الأبواب التي أنفقت فيها مالها فسوف يسألها الله عن مال زوجها وكيف أنفقته وفي أي سبيل ولمصلحة من تم الإنفاق والإسراف والحياة يا سيدتي صعبة وتحتاج لمزيد من الجهد والدقة في التعامل مع الإنفاق اليومي ومع ميزانية الأسرة ولكي تكفلي لحياتك وأسرتك مستوى مثالي من المعيشة التي

تتوفر فيها لأبناءك الصحة والعافية عن طريق الغذاء الصحي والمغذي ولكي تبدين أنت وأفراد أسرتك في أجمل مظهر بارتداء الملابس والثياب الأنيقة والمتجددة ولكي تجدين بعض المال لكي تنفقيه على الترفيه والترويح عن النفس عن طريق التنزه والذهاب في الرحلات كما تحققين متطلبات أبناءك فيما يرغبون فيه بشكل متوازن كل في دوره وفي مناسبته عليك يا سيدتي بتنظيم ميزانيتك شهريًا وسنويًا ونصف سنويًا حتى تقومين باستكمال ما ينقص حياتك من أشياء وتحققين لذاتك أحلامك مرة تلو أخرى وعلى مراحل متزامنة بحيث لا تقعين في مطبات وأزمات مالية يستفحل عليك حلها. والحقيقة أن هناك الكثير من النساء ممن يقعن فريسة لأهوائهن ولا يلبسن أن يندمن على إسرافهن في أموال الأزواج فكثيرات من السيدات يقعن فريسة لإغراء التزين بالذهب فيحرمن حياتهن من أبسط حقوقها في المأكل والملبس ويركزن على اقتناء الذهب والمجوهرات في كل وقت وفي كل مناسبة وفي غيرها اعتقادًا منهن أن كمية الذهب اللائي يمتلكهن هي من عوامل تقديرهن أمام الآخرين وأمام ذواتهن وقد قال العزيز الحكيم في محكم آياته ﴿ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ﴾ ولعل الله سبحانه كان أدرى بعباده الذين يستهويهم الذهب والفضة وحب الشهوات وهذا نمط من الناس منتشر بين الجنس الناعم فالكثيرات من السيدات يهوين التزين بالذهب والمصاغ والمجوهرات وينفقن أموالهن وأموال أزواجهن في شراء الذهب والألماس لكي يتزين به ويباهين بهذه الزينة أمام القريبات والأصدقاء والجيران اعتقادًا منهن أن التزين بالحلى الذهبية بشكل مبالغ هو شيء مرغوب للتظاهر والمفاخرة مما يزيد من أناقة المرأة وزينتها وبالتالي يعزز من وضع المرأة أمام الآخرين. وفضلاً عن اللائي يهوين التزين بالذهب والتباهي به بمبالغة كبيرة تبرز أمامنا الأخرى التي تعشق إدخار المال لذات الادخار والكنز فحسب دون

أي اكتراث بحياة الأسرة إلا فيما يسد رمقهم وحاجاتهم الضرورية ويجدن سعادتهن في كنز المال فحسب حبًا في حفظه وادخاره حتى أنهن لا يفكرن في كيفية إسرافه أو توظيفه ويظل موضوع حفظ المال وادخاره هو المطلب الرئيس لديهن فيدخرون المال في البنوك في حين يقطرن على أولادهن في الإنفاق اليومي وفي شراء متطلبات الحياة اليومية والوفاء بالالتزامات الهامة للأسرة من المأكل والملبس والمشرب فلا يعرن اهتمامًا لشراء الملابس لأولادهن ولا يقمن بذلك إلا عندما يسأم الأبناء من تكرار ارتداء الملبس أو أحيانًا من إصابة الملابس بالعتة كما لا يهتمين بمظهرهن كذلك إلا في حدود الملبس الضروري الذي يظهرن به أمام الآخرين بشكل دائم ورتيب ونفس هذا الحال ينسحب على المأكل وتغيير نمط الحياة فلا استمتاع إلا بقدر ضئيل ولا تغذية متنوعة وصحية وعالية الجودة كما ينسحب هذا الموقف البخيل والمقطر على موضوع التعليم كذلك فلا ينفقن على التعليم إلا بقدر بسيط وفي حدود الضروري فحسب وعندما يسألهن الأولاد أو الزوج عن المال يقلن لهم أن الحياة صعبة والأسعار مرتفعة والغلاء فاحش وأنه لا يوجد معهن من المال ما يكفي لسد حاجاتهم من المتطلبات الضرورية للحياة وهي تظن في ذلك أنها تدخر لمستقبل الأيام متناسية في ذلك أنها توقع على أولادها عقوبة الحرمان من الحياة الكريمة كما تشعرهم بأنهم أقل من أقرانهم في المستوى الاجتماعي وبذلك يصاب الأبناء بالإحباط ويشعرون بالدونية كما يحسون بالفارق بين وظيفة الأب ووضعه الاجتماعي وما يحدث واقعيًا في حياتهم من انغلاق ومحدودية نتيجة لأفق الأم الضيق وعشقها الشديد لكنز المال. إن هذا النمط من النساء يعد نمطًا صعبًا ومتصلبًا في طريقة التعامل مع أفراد الأسرة كما أنها لا تحقق لهم أية طموحات أو آمال في حياة كريمة وتحاول أن تعيش في المستقبل الذي لم يأت بعد وهو غير منظور أو معروف بالنسبة لهم وهذه المرأة التي تعبد كنز المال وحفظه للضرورة هي من بين السيدات التي لا تهتم كثيرًا بمظهرها ولا تهتم كذلك

بمظهر أبنائها أو زوجها أمام الآخرين وغالبًا ما تدعي الفقر والعوز وهي نمط غير مشجع من الشخصية الغير سوية وإلى جانب هذا النمط من الشخصية يوجد نمط آخر يهوى الإسراف الشديد وهو ما يعرف بالمرأة المسرفة التي لا تهتم بالاحتفاظ بمال زوجها وهكذا فمن المقطرة على بيتها ونفسها وأولادها وزوجها إلى المسرفة بشكل متطرف يقع الحكم على المرأة المعتدلة والعاقلة في الإنفاق على حياتها التي تسير وفق مبدأ الاعتدال والتوسط فلا إفراط ولا تفريط وهذا هو مبدأ الحياة السليم أن الإنسان لا يسرف في استغلال وتوظيف ماله بشكل مرضي ومتطرف وهو في ذات الوقت لا يستطيع أن يحيا حياة الشظف ويدخر أمواله في البنوك لوقت الحاجة ومتى يحين وقت الحاجة وهل يضمن المرء حياته حتى يعيش محرومًا معذبًا متمنيًا ملقيًا بأحلام الحاضر القريب داخل متاهات وآمال المستقبل الغير منظور كما وفي ذات الوقت لا يستطيع المرء أن يعيش مسرفًا بشكل شديد حتى لا يقعد ملومًا محسورًا كما قال القرآن الكريم ولا شك يا سيدتي أن كل ملذات الحياة مطلوبة فالمال مطلوب والغذاء مطلوب والملبس والملذات والمتع المختلفة ومن منا لا يهوى الحياة، ومن منا لا يعش حياة الملوك والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة التي زين لنا حبها ولكن لنا وقفة مع النفس ومع الضمير ففي هذا الزمان الصعب الذي تتبدل فيه القيم ويعاني فيه العالم بشكل عام من الأزمات الاقتصادية والمالية يجب على كل أسرة أن تختط لنفسها منهجًا ماليًا وأن تقوم بعمل ميزانية وخطة سنوية أو نصف سنوية لاحتياجاتها على أن تكون هذه الخطة مرسومة في ضوء المظاهر والشكليات التي يهواها الكثيرات من السيدات في المجتمع ولا شك فإن حالة الأسرة المالية مهما بلغ حجمها من الوفرة تحتاج إلى ترشيد وتنظيم فتحاول المرأة الذكية أن تأخذ منصب وزير المالية والاقتصاد في منزلها وأن تتصرف بكامل الحرية والمسؤولية في ميزانية بيتها على أن تضع في اعتبارها شعور الزوج والأبناء وراحتهم وعلى أن تلبي من خلال خطة الميزانية التي

تضعها لهم متطلباتهم وطموحاتهم الشخصية وما يأملون فيه من أشياء وهكذا تبدو المرأة الناجحة بالنظر إلى الحاجات الأساسية من المأكل والمشرب والتعليم والترفيه ثم تتدرج بعد ذلك إلى الحاجات الثانوية وهي المتطلبات التي يمكن أن تتحقق في حالة الفائض من الميزانية كديكور المنزل مثلاً أو تغيير ديكور الصحي والمطبخ من السيراميك والرخام أو إعادة طلاء المنزل أو شراء بوتاجاز جديد أو ثلاجة أحدث أو تليفزيون حديث أو تغيير الكومبيوتر لابنها أو تغيير موديل السيارة وإلى ما غير ذلك من متطلبات وحاجات تكميلية وتجميلية وهي تعد من قبيل الأشياء والأمور الثانوية إذ أن الأسرة تستطيع الحياة بدونها ولا شك فالمرأة الصادقة مع ذاتها يجب أن تعتبر نفسها مسؤولة مسؤولية كاملة عن أموال زوجها ويجب أن تتصرف فيها بحساب شديد وفي دقة وحزم ولا تترك العنان لمتطلبات ومغريات الحياة ولا تدع طلبات الأبناء وحاجاتهم الثانوية تتغلب على ميزانية المنزل المتعلقة بالأساسيات والضروريات إن الحياة لا تسير ولا تستقر إلا في ضوء الضروريات أولاً ثم بعد ذلك تأتي الثانويات أو الأشياء الأقل في الأهمية التي لا يجب لها أن تتغلب على ميزانية الأسرة وتضعفها أو تؤثر في الضروريات والأساسيات وعلى الأم المثالية والزوجة المخلصة الحكيمة أن تضبط الميزانية بحيث تستكمل ما ينفعها من خلال ميزانيتها سواء كانت صغيرة أم كبيرة. وكثيرًا ما نسمع في الوقت الراهن عن أسر كثيرة متوسطة الدخل أو من ذوي الدخل المحدود ولكنها فعلت الكثير مع أبنائها إذ علمتهم وزوجتهم وأورثتهم كذلك .. لماذا لأن الأم تدبر وتدقق فيما تنفقه من أموال زوجها وتضع في اعتبارها الأهم فالمهم. والضروري فالثانوي والأساسي فالعادي عندئذ تسير أحوال الأسرة في أحسن حال مادي وتعد الموازنة الحقيقية التي يتعادل فيها دخل الأسرة مع المنصرف على الأحلام والطلبات من بين عوامل نجاح ميزانية الأسرة مما يؤشر بنجاح دور الزوجة الحكيمة في تدبير ميزانية أسرتها فاحرصى كل الحرص على مال زوجك وأسرتك ولا تبذرين فإن المبذرين

كانوا اخوان الشياطين ولا تجعلي يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطيها كل البسط حتى لا تشعرين بالندم والتقصير في تبديد مال أسرتك وتذكري دائمًا يا سيدتي المديرة المالية أن ميزانية الأسرة هي أمانة في عنقك وفي ضميرك فصوني ميزانية أسرتك ورشديها في وجهتها السليمة والنافعة لك وللزوج وللأبناء من أجل مستقبل مشرق وناجح لك واعلمي جيدًا أن نجاحك في ترشيد الاستهلاك والحفاظ على ميزانية الأسرة هو وسام شرف وأمانة يضعها المجتمع قبل الزوج والأبناء على صدرك. فسيري في عناية الله من أجل خير الأسرة والمجتمع حفظك الله ورعاك.

obeikandl.com

(١٦)
أهمية الابتسامة في حياتك

سيدتي الإنسان هو الكائن الحي المتسامي الذي وهبه الله عز وجل القدرة على التعبير عن سعادته بالابتسامة فالابتسامة رمز إنساني جميل يعبر عن كل ما هو جميل حولنا وهي تعني في مدلولها العام الشعور بالرضا والراحة النفسية وراحة الضمير وتعني كذلك الإحساس بالغبطة الداخلية ولقد تغني الشعراء ومؤلفوا الأغاني ردحًا طويلاً بأهمية الابتسامة وكيف أنها تعبر عن الحب وعن الرضا وأحيانًا عن السعادة الكبيرة وخلو البال والإنسان مخلوق مبتسم وإذا كانت الابتسامة هامة بالنسبة لبني الإنسان بصفة عامة فهي تعد في غاية الأهمية بالنسبة لك يا سيدتي المبتسمة الجميلة والابتسامة تعبير عن طريق انفراج الشفاه وهي تبدو ظاهرة تلمحها العين بدون إحداث ضجيج أو صوت مرتفع كما يحدث في حالة الضحك لأن الضحك يتمثل في الصوت العالي وتصدر عن الضحكة أصوات معينة تعبر عنها أما الابتسامة فإنها صامتة تعبر فقط بدون ضوضاء وربما أن هناك اختلاف بين كل من حالتي الابتسامة والضحك فالأولى تعبر عن حالة نفسية سعيدة ومستريحة أما الثانية أي الضحك فقد تعبر عن موقف مفاجئ كأن يستمع المرء لنكتة مثلاً أو يرى أحد المشاهد المضحكة واللافتة للنظر في الشارع أو على شاشة التليفزيون وبذلك تنفرج أساريره ويضحك محدثًا صوتًا عاليًا وقد تكون الابتسامة نتيجة للسخرية الداخلية من شيء معين فيعبر عنه المرء بالابتسامة كذلك عن رؤية الشيء الجميل فالإنسان عندما يرى شيئًا جميلاً يعبر عن رؤيته وابتهاجه بالابتسامة إنها مطلب إنساني من الدرجة الأولى والإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي وهبه الله المقدرة على التعبير عن انفعالاته وراحته السيكلوجية عن

طريق الابتسامة التي ترمز إلى ابتهاج النفس الإنسانية وفي أحيان قليلة ما تعبر الدموع عن الفرح عند بعض الناس إلا أنها لا تكون القاعدة في التعبير عن الفرح مثلما يكون الحال في موضوع الابتسامة والتي هي مطلوبة منك يا سيدتي فقومي بها على الدوام وتحلي بها دائمًا كما تتحلين وتتزينين بزينتك فاجعلي الابتسامة دائمًا على شفتيك وحاولي أن تتجملي بها في كل الوقت ومعظمه ومع كل المحيطين بك ابتداءا من زوجك الذي يسعد بها وينتظرها إلى أبنائك الذين يفرحون لإشراقتها وانتهاءا بمن يتعاملون معك من الأصدقاء والزملاء والجيران والأقارب فهي السبيل الوحيد للخروج من دائرة العصبية والتوتر النفسي الذي يعاني منه الإنسان في العصر الحديث تحت وطأة الضغوط اليومية التي تلزمه بالعديد من المسؤوليات والضرورات التي تثقل كاهله وتحّمله عبء مالي واقتصادي ونفسي كبير فتعودي على الابتسامة مع زوجك ذلك لأن الزوج بطبيعته عصبي المزاج قليل الصبر وربما سريع الانفعالات في كلماته في بعض المواقف وذلك بسبب ظروف عمله ومسؤولياته تجاه توفير حياة آمنة سعيدة لك ولأبنائه فابتسمي كثيرًا ولا تتوقفي عن الابتسام خاصة لزوجك حين يعود من عمله فقابليه بوجه بشوش سمح تطبعي عليه الشعور بالبهجة وتهدئ من أعصابه وثورة انفعاله بعد يوم عمل شاق واعلمي يا سيدتي أن لزوجك عليك حق في هذه المقابلة السارة فمن غير المعقول أن تبدأي صباحك اليومي وأنت مكفهرة الوجه مقطبة الجبين مشدودة الأعصاب عالية الصوت منفعلة الأعصاب ويسمعك زوجك وأن تتشاجرين مع الأبناء وتصرخين فيهم، كيف يمكنك تصور حالة زوجك في هذا الموقف وهل سيكون سعيدًا مبتهجًا وسط هذه المعركة والمشادة والضجيج الذي يعيشه في منزله بدلاً من أن يكون منزله هو ركن الراحة والسكن والاستقرار هل سيكون زوجك راضيًا عما يحدث منك من سلوك مستفز له وللجو العام في المنزل خصوصًا في بداية يوم جديد وصباح جديد يود فيه الخروج للعمل وهو مستبشر متفاءل خالي

البال. وبدلاً من سماع دعواتك له ورؤية ابتسامتك عريضة مشرقة يعيش هذا المناخ العصبي قبيل الذهاب للعمل فيتشاءم ويمتعض لسماع زخم التوتر والصياح والموشحات الغاضبة وتقولين بعد ذلك لماذا يهملني زوجي ويهرب من المنزل ويكره أولاده أنك لا تعلمين أن الزوج يحب منزله هادئًا مهيئًا سعيدًا ويكره الإزعاج والتوتر والعصبية حتى عندما تكوني أنت السبب فيها أنك بذلك تجبرين زوجك على مغادرة المكان غاضبًا والإفلات من حياة الزوجية الرتيبة المملة الثقيلة على قلبه وأعصابه حتى ينسى ما يحدث بالمنزل لأنه يمثل له البعد الدرامي والمأساوي الذي يكره الحياة معه أو التعامل من خلاله أو حتى تذكره في خياله ذلك لأنه مثار قلق ومصدر ضرر له كما يسبب له التعاسة والحيرة والرجل بطبعه لا يهوى الدخول في المشاحنات وفض المنازعات المنزلية ولا ينزع إلى النكد بطبعه مهما كانت أسبابه فاحرصي على تهيئة الجو المناسب والملائم للزوج واثبتي له أنك الحبيبة التي تفهمين طبعه والزوجة المثالية التي لا تدخر جهدًا في إسعاده وتوفير سبل الحياة السعيدة الهادئة له وإذا كان زوجك يحتاج إلى هدوءك وابتسامتك الحلوة فإن أبناءك يحتاجونها كذلك بشكل أكبر وأعمق فالأبناء سواء كانوا من البنات أو البنين يحتاجون عطف الأم وحبها وهذا يبرز لهم من خلال معاملتهم بهدوء والابتسامة الدائمة لهم ولن تستطيعي تحقيق حياة مثالية وسعيدة للأبناء بدون تحقيق نوع من التوازن العقلي والانفعالي في تفاهماتك وحواراتك معهم كذلك تعاملاتك التي تحقق لهم الانسجام والتوافق النفسي لأن الأم كما تعلمين مدرسة فهي المدرسة وهي الوطن لكل من الابن أو البنت فالأم المثالية هي التي تفهم أحاسيس ومشكلات الأبناء وتحاول معايشة أعمارهم ومشكلاتهم وتدفعهم لفتح صدورهم لها والبوح بأسرارهم وخلجات نفوسهم لها لأن الأم هي الصدر الحنون ولن تصدق هذه المقولة ما لم تحاولي إثبات ذاتك كأم تحتوي أحلامهم وطموحاتهم فتكسبين صداقتهم وودهم الدائم عن طريق الهدوء والابتسامة الدائمة .. التي لا

تلبث أن تصبح طبعًا فيك فحاولي قدر الإمكان الاحتفاظ بالبسمة واجعليها دائمة على شفتيك واجعلي الدعاء يجري على لسانك دائمًا تتوجهين به إلى الله لكي يساعدهم ويسدد خطاهم هم وزوجك كما يجب أن تجعلي الهدوء طبعك عندما تتعاملين مع أبناءك لأن الأم العاقلة الواعية هي التي تستوعب مقدرات أبنائها وتدفعهم قدما إلى الأمام نحو الحب والخير والعطاء لهم ولأسرتهم ولمجتمعهم فإنه بالابتسامة تعالجين المشكلات وبها تحققين النجاح وتصبحين صديقة وزميلة لأبنائك فيبوحون لك بما يعتمل في صدورهم من ضيق وملل واجعليها مرفأ ترسو فيه وعلى شاطئه أحلامهم الجامحة وطموحاتهم المتمردة على الواقع الصعب في عصر العولمة وضياع الهوية واجعلي حبك وحنانك دافعًا لهم على الصراحة والتلقائية في الحوار ولو أنك فعلت عكس ذلك وقطبت جبينك وانفعلت وصرخت لانفضوا من حولك وغابوا عنك وابتعدوا وأصبحت الأم الطاهية فقط التي تقدم لهم الطعام وتقوم على خدمتهم فحسب وهذا بالطبع ليس هو دورك الوحيد فهناك أدوار أهم منه وهو دور التربية عن طريق الابتسامة والمعاملة الحسنة والتربية للأبناء يا سيدتي وكما تعلمين هي اقتراب ومصارحة وحب وود وعمق في العلاقة ولن تتأتى هذه الثلاثية من غير الود وروح الصداقة التي تتحلين بها دائمًا أمامهم وفي عيونهم وتستقطبينهم بها في كل الأوقات فإذا كبر ابنك فخاويه وكوني له الأخت والصديقة الحنونة وكذلك انصحي أبيه بمؤاخاته ولكن ما معنى المؤاخاة إن لم تكن في إبراز الابتسامة والسعي لإبراز الحب وإظهار العاطفة الجياشة واعطاء قدر من التفاهم والمرونة في مواجهة المشكلات والصعاب والاقتراب من الحلول الوسط لكل ما يقابل حياتنا من عثرات. إن عاطفتك وحبك هو الذي يبرز لهم عن طريق الابتسامة والهدوء والكلمة الطيبة فضلاً عن الأسلوب المثالي الأخوي في التعامل والمقولة التي تهدف إلى المؤاخاة مع الابن تعني أنه إذا ما كبر الابن فهو الأخ ونعم الصديق وعليه تقوم العلاقة والود فلا داعي للهجة العنف أو التعنيف وصياغة

الأوامر فها هي روح الصداقة والزمالة التي تسود بين الأخوة داخل الأسرة الواحدة فالأخ حبيب لأخيه قريب منه يحس بإحساساته ويعيش ظروفه ويقدر مشاعره وهو كذلك يجب أن يكون متعاونًا محبًا ناصحًا له وهذه هي المشاعر والأحاسيس التي يجب أن تربط بين الأم وأبناءها أو الأب وأبناءه خاصة ونحن في عصر تمرد فيه الصغار على التقاليد والأوامر وجنحوا إلى تحقيق أحلامهم المعاصرة بعيدًا عن نصائحنا ورغمًا عنا فلماذا إذن لا نمسك بالخيوط التي تحرك الأبناء عن طريق المعاملة الطيبة وحسن التآخي معهم في ظروف مثالية تحتم على الأم تقديم أحسن سلوك ومعاملة لأبنائها الأصدقاء والأخوة كما تحتم على الأب نفس الشيء وبذلك تنفرد الابتسامة والمعاملة الحلوة الحنونة بالسبق في سبيل تأكيد قيم الحب والمعاملة بين الأم والأبناء ومثلما يحدث في حالة الأب فالأبناء يهربون من صراخ الأم وضجيجها وتعليقاتها المؤذية ونصائحها المتكررة التي ترددها بصوت مرتفع تستفز بها مشاعرهم كما أن الضغط الشديد على الأبناء ومحاولة محكوم عليها بالفشل ولا تأتي ثمارها بشكل جيد ومثمر وفعال فيا أيتها الأم الحنون التي تؤدين رسالتك التي أمرك الله بها حافظي على موهبة الابتسامة وصفة السماحة فيك حتى وأنت في أحلك الظروف وتحت وطأة المشكلات ولا تعالجين المواقف الصعبة بالتشدد والعنف ولا تتوترين وتوترين من حولك من زوج وأبناء فحافظي على هدوء طبعك لأنك مهما حاولت الهروب من مسيرتك فلن تفلحي فهي مسيرة نضال لتأكيد قيم الأسرة والعائلة الكبيرة، إنها مسؤولية الكفاح والصبر وتحمل الصعاب في سبيل تحمل الأمانة المنوطة بها من قبل الله سبحانه وأنا لا أهون عليك كفاحك ولا أهلل لغضبك ونفاذ صبرك في تحمل تبعة نضالك في بناء وتكوين الأسرة فلن يستطيع زوجك أن يتفاهم مع غيرك كما أن أبناءك هم رسالتك في الحياة وبين الزوج والأبناء تقفين أنت فتسلحي بالإيمان والقوة والعزيمة واعلمي أن المسؤولية القدرية هي مصيرك الذي ينتظرك على الدوام فالزوج هو أمانة عندك وكذلك

الأبناء فاختاري أحسن السبل في التعامل معهم ولن نفلح وسائل نفاذ الصبر وضعف الإيمان في التعامل والتفاهم مع من حولك لأن لكل منهم طريقته وأسلوبه في الحياة والسلوك ولكي تنجحي في لم الشمل حولك وعدم إثارة المشكلات أو التقليل من الهموم داخل الأسرة وزرع الحب والإخلاص وروح الود بين أفرادها عليك بالتحلي بهدوء الأعصاب ورسم الابتسامة التي نرجو ألا تصبح مجرد رسم فحسب بل تتخطى ذلك إلى الطبيعة بأن تكون الابتسامة طبيعية وصادرة من قلبك الكبير الذي يحتوي الكل في نبضاته وخفقاته واعلمي يا سيدتي أنك أصبحت في هذا الحال من النضج لأن أمك قد ربتك وهي صابرة مبتسمة وربما أن ظروف حياتها في الماضي قد ساعدتها على ذلك فنسبة التوتر والشد العصبي كانت قليلة أو معدومة في زمن أمك وأمي لكن زماننا صعب بكل المعاني إنه زمن البحث عن الصبر والمثابرة وانتهاجهما والتعمق في الإيمان حتى يستطيع المرء ممارسة حياته العادية بغير انفعال أو ضغوط فيا أيتها الأم الحنون والزوجة الواعية والمرأة المثقفة الذكية التي تؤدين رسالتك على أكمل وجه حافظي على رباطة جأشك واصبري وثابري والتفي مع الأيام أو دوري مع الأيام حتى تدور الأيام معك على حد قول المثل القديم الذي كانت تقوله جدتنا وحافظي على موهبة الابتسامة وصفة السماحة فيك حتى وأنت في أحلك الظروف وتحت وطأة المشكلات ولا تعالجي المواقف الصعبة بما هو أكثر منها صعوبة وتبسمي وتهللي وتفائلي دائمًا أمام العقبات والحياة لا تسلم دائمًا من الصعاب والآلام ولا تخلو من القلق وقد قال العزيز الحكيم في محكم كلماته: "لقد خلقنا الإنسان في كبد، فالإنسان مخلوق في النضال والشقاء وعليه فتمسكي بإرادة الأمل ولا أمل في شيء بدون ابتسامة وابتسامتك خاصة هي ابتسامة عالمية لها معاني في أبدية السعادة وروح الحب ولم الشمل وبناء الأسرة ونجاح الحياة الزوجية وبالتالي بناء المجتمع المتحضر الواعي فابتسمي يا سيدتي لزوجك أنه ينتظر منك ابتسامتك في كل لحظة من لحظات حياته

وابتسمي لأبنائك فهم ينتظرون ابتسامتك مثل أبوهم تمامًا وهم في حاجة إلى ما وراء هذه الابتسامة من حب وود ورحمة وعطف والآن يا سيدتي البشوشة السمحة ابتسمي على الدوام حتى تصبحين امرأة وزوجة وأمًا مثالية ورائعة.

obeikandl.com

(١٧)
توازن الحالة النفسية للأبناء
ودور الأم في إحداثها

الأم تلك المدرسة المتحركة الناطقة المنجبة المربية، تلك المدرسة الحنونة التي ولدت وأرضعت وربت وكبرت وعانت في سبيل ذلك الكثير فسهرت الليالي وقاست الأيام لتربية أبناءها ولا شك فإن لفظة المدرسة إنما تنطبق على المعلمة الأولى والمربية الأولى. والأم هي اللفظة الأولى التي ينطق بها كل طفل تعلم النطق وبدأ الكلام والأم هي الحضن الدافئ والحنون وهي المصدر المتسع لكل من حولها من الزوج والأبناء وكثيرا ما يقع أبناءنا في مشكلات المراهقة أثناء نموهم وكذلك في مراحلهم العمرية المختلفة فيسببون لنا الكثير من الآلام والمتاعب وتعتبر مشكلات التعليم والتحصيل من أهم المشكلات التي تواجه الإنسان أثناء مرحلة المراهقة وكذلك مرحلة الشباب وتنشأ هذه المشكلة عن عدم استيعاب الشاب لدروسه في المدرسة أو في الكلية ومحاولة الأم والأب الضغط عليه لكي يستوعب مسئولياته جيدًا ويحصل على درجات متميزة في الامتحانات ضمانًا لمستقبله ولكي يحقق المجموع الذي يرغب فيه ويحقق به أحلامه في الالتحاق بالكلية التي يتمناها من كليات القمة ومن الكليات العملية والنظرية ذات المستوى العملي المتميز لما لها من مكانة في المجتمع مثل كليات الطب أو الهندسة أو الصيدلة أو غير ذلك من كليات جامعية لها بريقها. وعليه فإن الأبناء يقعون تحت ضغوط الأسرة وإغراء الكلية من جانب والنجاح المتميز من جهة أخرى وهذه المسائل قد تقود الأبناء إلى حالة نفسية متوترة فيصابون أحيانًا بالملل وأحيانًا أخرى بالاكتئاب فينغلقون على أنفسهم يعانون الإحباط وينامون الساعات

الطويلة متهربين من الاستذكار وعمل الواجبات عن طريق الجلوس إلى التلفاز ساعات طويلة كما يهربون أحيانًا خارج المنزل ويقضون ساعات طويلة خارجه للهروب من عبء الاستذكار وضغط النصائح والقلق الذي يبديه الآباء عليهم، وفي هذه الحالة يحدث شبه خلل في نفسية الأبناء فضلاً عن عدم التوازن الذي يلحق بحالتهم المزاجية ولا شك أن دور الأم هنا يبرز ليعالج الموقف بشكل قد لا يستطيعه أحد غيرها فالأب دائمًا ما يكون مشغولاً في عمله وفي مقدراته خارج المنزل من أجل مزيد من الكسب المالى لصالح الأسرة وتبقى الأم دائمًا يا سيدتي هي البؤرة التي يدور فيها هموم الشباب وقلق الأبناء وعليها تقع المسؤولية الكبيرة في الإصلاح والمحبة وفي التعامل مع الأبناء بطريقة تخرجهم من هذه الحالة النفسية لكي تعود بهم إلى بر السلامة بأن يعود الابن إلى سابق عهده بكتابه ومدرسته أو كليته أو منضدته التي يستذكر دروسه عليها وكله أمل في النجاح والتوفيق وإلى جانب المشكلات الناجمة عن التعليم وعبء الاستذكار والنجاح نجد أن العديد من أبنائنا قد يعانون من أمراض نفسية وعدم توازن بسبب بعض المشكلات التي تواجههم مع أصدقائهم أو مع الجنس الآخر وقد تحدث هذه المشكلات نتيجة للنمو البيولوجي لكل من البنت والشاب معًا حيث أن مرحلة المراهقة ترتبط ارتباطًا عضويًا وماديًا ببعض التغيرات الجسمية تشعر معها الفتاة بأنوثتها والفتى برجولته التي تقتضي منه أن يكون حرًا ومسئولاً عن تصرفاته وأفعاله ولا شك أن هذه المرحلة الحرجة بما تحمله من مؤثرات اجتماعية وتعليمية وبيئية ووراثية فضلاً عن الضغوط النفسية والمشكلات التي تطرأ على الأبناء من الجنسين في هذه المرحلة القلقة بالإضافة إلى استخدام أساليب مختلفة في التربية خاصة في المنزل وما يترتب على ذلك من انعكاسات نفسية وفكرية على الأبناء كل ذلك إنما يترك أثره البالغ على حالتهم النفسية والمزاجية والعصبية فنراهم عصبيين المزاج قليلي الصبر مندفعين في قراراتهم سريعي الرد عند استجوابهم في أي أمر من

الأمور. إنك يا سيدتي تمرين بهذه المرحلة أو سوف تمرين بها فقد تتعرضين لها خلال هذه السنوات أو في المستقبل القريب حسب عمر أبنائك وسوف تجدين نفسك أمام امتحان صعب في حل مشكلات هذه المرحلة العمرية وسوف تحاولين تحقيق هذه المعادلة الصعبة بين ما تفرضه عليك الظروف الطبيعية لأبنائك وبين حالتهم النفسية والعصبية وذلك عن طريق الاستماع الجيد لهم ومؤاخاتهم وعدم زجرهم أو تعنيفهم على أي موقف تتصورينه خطأ أو حتى يكون خطأ عام لأن في التأنيب المستمر والشدة الزائدة آلامًا كثيرة وعبء نفسي يتحمله ابنك أو بنتك وبتكرار هذه المواقف قد يحجم الأبناء عن البوح بمشكلاتهم وبتجاربهم الخاصة أو المقلقة في حياتهم الشخصية فعلى الأم الذكية أن "تداعب مشكلات أبنائها" وهذا المعنى المقصود به ألا تأخذ من المشكلات الخاصة بأبنائك أغنية تتغنين بها أو نغمة حزينة وموال تراجيدي تتحاكين وتتغنين به ساعات الليل والنهار أمامهم وأمام والدهم والمحيطين بهم فمن منا لا يخطئ ومن منا لا يذنب لكن الأخطاء والذنوب فقد تتضخم عندما تتكرر على مسامعهم ولا شك أن أخلاقيات التربية ومبادئها تمليان علينا ألا نتخذ من مشكلات الأبناء أو ذلاتهم أو حتى ذنوبهم سوط نجلدهم به طوال الوقت وعلى مسمع من المحيطين بهم حتى لو كانوا من أقرب الناس إليهم ونظن أنهم سوف يراجعون أنفسهم أو يسيروا على طريق الأدب والطاعة أو نتصور أننا بذلك الأسلوب الخالي من التربية قد استطعنا أن نضمهم إلى حظيرة التربية وأن نمتلكهم تمامًا أو يكونوا على نفس المنوال الذي نحب رؤيتهم عليه حقيقة أن أبناءنا ملك لنا ولكنهم ملك لأنفسهم كذلك، وملك لمجتمعهم وعالمهم الخاص في المدرسة والنادي والجامعة وفي شلة الأصدقاء كما أنهم ملك لوسائل الإعلام والاتصال والسموات المفتوحة والعالم قاطبة. ذلك العالم الذي يتبدى بين أيديهم من خلال شبكة الإنترنت فلا غرابة أن تجد السلطة في المنزل شيئًا من العنف في سبيل السيطرة على نفوس وأفعال وسلوكيات أبنائها ذلك لأن

الموقف الراهن للأبناء يجعلهم يعيشون حالة من الصراع لاستيعاب تقنيات العصر ومجاراة الأحداث والمواقف وكذلك استيعاب العلوم والدروس في كل من المدرسة والجامعة ولا شك فإن أبناءنا حتى وهم يمتلكون أنفسهم وحريتهم يعانون من الصراعات والتناقضات مع ذواتهم وهذا يسبب لهم اهتزازًا في شخصياتهم بعض الشيء وحتى يستطيعوا الخروج من مأزق الضيق النفسي فإنهم يلجأون إلى أصدقائهم أو من يحاول حل مشكلاتهم وأزماتهم النفسية وأحيانًا يغلق الأبناء الأبواب على أنفسهم فلا يسمحون لأحد بالدخول إليهم ويذهبون في ثبات عميق فنراهم يطيلون من ساعات النوم ويقضون معظم الوقت أمام التلفاز يشاهدون العديد من البرامج هربًا من القيود والأوامر والنواهي التي يستمعون إليها بصفة مستمرة صباحًا ومساءً وتنصلاً من مسؤولية التقيد بالكتاب والتحصيل التي قد يملون منها لبعض الوقت طالما كانت حالتهم النفسية سيئة ويشعرون بالاكتئاب ولا شك فإن ذكاء الأم وسرعة بديهتها وثقافتها هي من العوامل التي تسهم في حل مشكلات أبناءها النفسية حيث أن الأبناء في سن المدرسة أو الجامعة يعيشون مرحلة إحساس كبير بالذات بل مرحلة يمكن أن نطلق عليها اسم مرحلة تضخم الذات عند الأبناء وهي من المراحل التي يحدث فيها صراع بين الأبناء والآباء ويرجع هذا التوتر في العلاقة إلى محاولات الأبناء المتكررة تأكيد ذواتهم وهذا التأكيد ينعكس بلا جدال على بعض تصرفاتهم السلبية والعدوانية ضد الآباء الذين يعتبرونها نمطًا من الخروج على المألوف وإغفال القواعد العائلية والأسرية وعصيان لأوامر الأب والأم في حين أنها قد تكون أحيانًا تصرفات وسلوكيات عادية ومقبولة على الأقل في ضوء تطور العصر ونحن نعلم أن الأبناء ليسوا ملكًا لنا على طول الخط ذلك لأن مجالات الحياة الأخرى تستقطبهم وتتنازعنا في الإضافة إليهم والأخذ منهم وهم دائمًا يعيشون في حالة من التطور السريع والمتلاحق مع ما يحدث في العصر من تطورات وتغيرات بل وتصلهم المتغيرات العالمية

السريعة عن طريق النت وغير ذلك من قنوات الاتصال والإعلام وأبناءنا بصفة عامة هم أبناء عصر العولمة لا ينفكون يخرجون على النظام الثابت المستقر للأسرة وهذا الخروج السريع بدون أن يتواكب مع نمو عقلي ونفسي وشخصي للأبناء يصاحبه بعض القلق والتوتر النفسي الذي قد ينعكس بدوره على الدراسة أو العمل الذي يقومون به فيحدث اختلالاً نفسيًا قد يطيح أحيانًا بمستقبل الطلاب والمستقبل هو أمانة لدى الأم والأب معًا وهو أعظم لدى الأم التي تعيش تجربة الاقتراب من الأبناء والحياة في عالمهم الخاص فيكبر دورها ويعظم فها أنتِ يا سيدتي المرأة الأم التي تدبر شؤون بيتها وحياة أسرتها ها أنت تواجهين مشكلات أبناءك النفسية والعاطفية وتحاولين التعامل معها وتصحيح مسارهم أنك أنت التي تديرين دقة منزلك وترعى أبناءك وزوجك إنك سلطة المنزل وروح الأبناء وقلب الزوج إنك الحل عندما تستعصي المشكلات وأنت المخرج حينما تضيق السبل وأنت المرفأ في ثورة البحر الهائج وأنت صاحبة العقلية الفذة التي تحكم وتأمر وتنهي وترغب وتحبب وتثيب وتعاقب إنها لعبتك يا صاحبة اللعبة إن مقدرتك العالية هي التي سوف تسيطر على عقول ونفوس أبناءك بأكثر مما يسيطر عليها القلق الناجم عن التوتر النفسي في مرحلة المراهقة. إن دورك يعد من أعظم الأدوار وأنبلها خاصة عندما تلتفين مسرعة للوقوف على تطورات عقلية ونفسية أبناءك وهو من أعظم الأدوار في استيعابهم بكل ما يحملونه من تساؤلات ومشكلات وعلامات استفهام وقلق فكوني لهم الأم الحنون والأخت الصديقة التي تستمع إلى مشكلاتهم وتحاول حلها بطرقها الدبلوماسية الخفية تارة والمعلنة تارة أخرى إن وظيفة الأم لا تقتصر عند حد إعداد الطعام وخدمة البيت والأولاد ورعاية شؤونهم فحسب بل تمتد هذه الوظيفة الرئيسة إلى قيادة زمام الأبناء والنفاذ إلى أعماقهم ومعرفة ما يجول بداخلهم من أحاسيس مؤلمة وعليه فإنها تملك ناصية الأمور في بيتها ليس بما تملك من مال وتصرف وقوة اقتصادية إنما بما تملك

من مخزون روحي ونفسي وتربوي وعقلي وعاطفي يكفي لتربية الأجيال بشكل صحيح ولا شك فالأم الواعية قادرة على أداء وظيفتها بشكل طبيعي وناجح بقدر إمكانياتها فلا بأس أن تكون المرأة في المنزل هي أمينة سر أبنائها والموجة الأول لهما وكاتمة الأسرار والطبيبة النفسية أو الإخصائية الاجتماعية ولا جدال فموقف المرأة هو موقف الجسر الذي يحتوى الأمواج من كل اتجاه فهي تستوعب مشكلات الأبناء وتحاول حلها بالطرق المناسبة لها، والآن يُطرح السؤال ويقفز من بين الكلمات عن دور الأم في العلاج؟ وماذا يمكن أن تقوم به لكي تصلح من حال ابنها أو ابنتها وكيف يمكن أن تكون الطريقة المثالية التي تؤدي إلى حل مشكلاته بطريقة مرضية ومقنعة وذلك في ضوء المحاور الثلاثة العاطفية والعقلية والتعليمية فإن أي محاولة للنجاح أو العلاج لن تخرج عن واحدة من هؤلاء الثلاثة. فالمشكلات العاطفية التي تعترض حياة الشاب أو الشابة كثيرة ولاسيما في مرحلة المراهقة وقد تكون سببًا في أزمة نفسية خطيرة للشاب أو الشابة كذلك مشكلات الوعي العقلي والفهم وهل تتسع عقلية الأبناء للفهم العقلي أم لا هي أيضًا أحد الجوانب إلى جانب العديد من المشكلات النفسية والإحباطات التي يمكن أن تصيب الأبناء من جراء الصراع بين الأوامر وما تفرضه وبين الرغبات وما تتطلع إليه من أحلام الشباب والمراهقة وقد يتصور الأبناء أن اهتمامنا بهم ومراقبتنا لهم هي من قبيل السيطرة والضغط بل هي تعبير عن عدم الثقة فيهم وأنهم مازالوا صغارًا ودون مستوى الخبرة والوعي الحقيقي بمصلحتهم العليا فيتصورون أنهم ينجحون لأجل الأسرة والآباء. فيقول الشاب لأمه أو ابيه "سأذاكر لك لكي أنجح" أو سوف "أحقق لك أملك" في أن أكون طبيبًا أو مهندسًا أو إلخ ... وهكذا يبدو مستقبلهم الذاتي بلا ملامح في بناء وصنع مستقبلهم وحدهم وبطريقتهم الخاصة. أن هذا الموقف المعكوس والمقلوب هو موقف الغالبية العظمى من أبنائنا الذين لا يطمحون لأنفسهم في أكثر مما نطمح لهم فيه. إن هذا العرض المرّضي لداء السلبية

وانعدام التوازن والإحساس بالذات هو ما يدفعك يا سيدي للبحث عن أبناءك والجري وراءهم والضغط عليهم من أجل تحقيق نجاحهم في المدرسة أو الجامعة مما يولد فيهم الخوف والتوتر ويشعرهم بالضغط والقلق إنك يا سيدتي صانعة النجاح ومربيه الأجيال وفاعلة الخير وأنت كذلك قادرة على مواجهة مشكلاتهم لأنك منسقة العلاقات وأخصائية التحليل النفسي أنك الأم حيالهم فادفعيهم للنجاح وتفهمي مشكلاتهم وغوصي في أعماق تفكيرهم وأحلامهم واجعلي النجاح هدفًا لهم ومأربًا يسعون إلى تحقيقه ساعات الليل والنهار حتى يصبحون قوة فعالة تخدم مجتمعهم ووطنهم.

obeikandl.com

(١٨)
"أنت الحياة"
أو رسالة لكِ عن الوظيفة والدور

تتعدد الأدوار وتتصارع في الحياة بصفة عامة ولكن يظل دورك يا سيدتي دورًا أصيلاً متميزًا ومتمتعًا بالصدارة فماذا تكونين أنت يا زهرة الحياة اليانعة وشجرة الدنيا الوارفة الظل، ماذا تكونين أنتِ يا سيدتي وأنت منبع الوجود الحلو وأصل البشرية، ماذا تكونين أنتِ يا سيدتي والكل يدور في فلكك لا تظنين أن دورك محدود أو ناقص فأنت صاحبة الدور والعبقرية ومديرة المؤسسة العائلية والمجتمعية وأنت المسؤولة الأولى عن كل من حولك في كل الشؤون هل تعلمين إنك العقل والقلب والعاطفة. والوجدان. وأنك التكتيك والاستراتيجية .. إنك الحرب والسلام، الجنة والنار وأنك الهجر واللقاء. تجتمع فيك جميع المعاني في كلمة واحدة يا أنتِ يا كل ألوان الحياة في لون واحد يا أنتِ يا صاحبة السلطان على قلوب الجميع الرجال والنساء والأولاد يا أميرة قلب زوجك ونبض إحساس ولدك وبنتك وحركة الحياة في صيرورتها وعنفوانها استمعي إلي وأنا أحدثك عن دورك واكشف النقاب عن حياتك الخاصة وأزيح الستار عن المسرحية الوجودية الحائزة على الجائزة العالمية "أنت الحياة" فلتقرأي :- أحبيه كثيرًا دلليه وصدقيه فيما يقول واغفري له هناته بل أخطائه وكوني له الأم الرؤوم والأخت والصديقة لا الزوجة فحسب، لا تحسبي له الأخطاء وتعديها عليه وتسمعيه لومك صباحًا مساءًا ولا تكثري في كلماتك التي يتضايق منها، لا تحمليه همومًا كثيرة فوق همومه في العمل والحياة والمستقبل كوني له الجسر الذي يحتوي ثورة أمواجه وعنفوانها، خافي عليه يا سيدتي كما تخافين على طفلك الصغير وأنت قادرة على ذلك فاحتوي ثورته وكيفي حياته

حسبما يحب ويرغب فالزوج رجل والرجل وإن اختلف عنك في صفاته الجسمية والنفسية إلا أنه يزيد عنك في نسبة التوتر والانفعال لأن المسؤولية تقع على عاتقه في أغلب الأحيان فلا تكرسى فيه صفة العصبية والتوتر لأنهما إن تمكنا منه كانا سببًا في اختلال سلوكه ومرضه النفسي مما ينعكس عليك بالسلب. أما أولادك فلن أوصيك بالصبر عليهم في التربية والتعليم لأن الأب يحب أن يكون أبنائه أحسن منه حالاً فإذا رآهم على نحو طيب اطمئن قلبه وابتهج بذلك وهذه البهجة هي جزء لا يتجزأ من سعادتك الشخصية سيدتي: إن جمال الحياة يبدأ من راحة الزوج فتستريح الأسرة بأكملها مما يؤثر على كل فرد من أفرادها بالإيجاب فلا تنتظري من الزوج أن يمنحك السعادة وهو مفتقد لها لأن فاقد الشيء لا يعطيه ولكن إذا كان زوجك قادرًا على العطاء فلا تحرميه من هذه الفرصة وشجعيه على اغتنامها بما تتدفقي به عليه من حب ورعاية واهتمام وولع وشغف به. إن الرجل في حياتك هو همزة الوصل بينك وبين ذاتك أو كيانك فلا يمكن أن تتصور المرأة ذاتها بلا رجل في حياتها فالزوج هو كيان الأسرة وهو كيانك بذاته لما للعلاقة العاطفية المتبادلة بين الزوجين من أثر صحي على دوام الحياة الزوجية السليمة وقد تجدين أهمية لعلاقة الحب المتبادل بينك وبين زوجك فتصبح أفعالك وتصرفاتك رقيقة ملبية طيعة مرنة محببة فقد تلعبين جملة من الأدوار في ذات الوقت لكن مهارة الأداء يجب أن تتوفر لديك بحيث تؤدين كل دور منها بتميز وصدق عن غيره من الأدوار فأنت كزوجة لكِ دور المخلصة والمحبة والملهمة والحنونة التي يفتح الزوج صدره لها بما يحمله من مشكلات وهموم وأنتِ الأم الناجحة الحنون المعطاءة بما تظهريه من محبة وحنان تجاه ابنك أو إبنتك وأنت الشخصية المرنة والذكية التي تلمح ولا تصرح وتحلّق وتراقب ولا تمسك فيتسع صدرك لأخطاء الزوج والأولاد وكأنك لا تعلمينها حفاظًا عليهم نفسيًا فأنت يا سيدتي المخلوقة الذكية التي تمتص المشكلات وتعالجها بحزم وعزم وأمل ولا تضع الحواجز والعراقيل

تعتثر سبل زوجها وأبنائها انطلاقًا من مسؤولياتها عنهم وأمانتها لهم وحبها لحياتهم ونجاحهم. ولا توجد حياة على ظهر الأرض بغير مشكلات تعترضها ولكنك المخلوقة القادرة على المواجهة والتكيف ومعالجة المشكلات فكوني دائمًا صاحبة المبادأة كأم وزوجة ومربية واضطلعي بحل مشكلات أسرتك وامسكي بقياد الأسرة وكوني المحبة للرجل المعاونة له، السكرتيرة الحبيبة والزوجة الحنون المطيعة والأم المضحية والأخت الصديقة المخلصة له إذا لزم الأمر فتمضي بك رحلة الزواج السعيد إلى الأفضل دائمًا ولو أحسست أنكِ أخفقت في إدارة حياتك الأسرية فاعلمي جيدًا أن السبب الوحيد هو الفشل في علاقتك بزوجك والأخطاء في حساباتك وتقديراتك لحجم المشاعر والأحاسيس بينكما لأن السعادة الزوجية هي نتيجة نجاح المشاركة الزوجية التي يكون مصدرها اتفاقية الحب المبرمة بينكما ومعاهدة السلام الدائم بين قلبيكما فابدأي دائمًا بنفسك ولا تبدأي به وكوني بئرًا ومستودعًا لأسراره ورغباته وجموحاته وطموحاته وتعودي على إسعاده وتحقيق راحته فتستريح الأسرة كلها وكوني صديقة للجميع في أسرتك للبنات والبنين ولا شك أن المصارحة بالمشكلات والخبايا يشعر الابن بأن الأم صديقة له ويسعده كثيرًا بل يساعده في حل مشكلاته الاجتماعية والنفسية لسببين أولهما:- أن شخصية الأم تكفي وحدها لطمأنة الابن أو البنت على مشكلاتهما وثانيهما:- أن جمع الأم بين شخصية انفتاح الصديق وحنان الأم وخوفها على أبنائها يدفعهم إلى الارتماء في أحضانها وتعويدهم على المصارحة والمكاشفة مما يسهل تربيتهم وترويضهم وهكذا يا سيدتي تجتمع في شخصيتك أدوارًا كثيرة وصفات عظيمة تستطيعين بها أن تقودي زمام حياتك الزوجية بنجاح واقتدار. ولا شك فإن تعاظم دورك الذي سخرك الله له هو من الإشارات والإلهامات الإلهية لك كأم وضع الله الجنة تحت أقدامها ففضلاً عن دورك في حفظ النوع وإقامة الحياة الزوجية وإنجاب الأبناء وتربيتهم وتعليمهم والاحتفاظ بقيم الأسرة وتماسكها يكون دورك تربويًا في ترسيخ القيم كالحب

والخير والتعاون والمؤاخاة والمروءة بين أبنائك تلك القيم التي أخذت تتداعى في العصر الحالي تحت دعاوي العولمة والتحضر وهكذا فكل ما تعطين لأسرتك هو نتاج لحياة أسرية سليمة وأبناء ينتمون إلى قيمهم التي تعلموها وحافظوا عليها خلال قيامك بواجبات وظيفتك وأمانة دورك يا أنتِ "يا حياة الجميع".

obeikandl.com

(١٩)
بين الرجل والمرآة أو الدور والوظيفة
قضية ورأي

الرجل والمرأة هما القطبان الأساسيان في العلاقة الزوجية الناجحة والأسرة المتماسكة وكلما كانت العلاقة بينهما قائمة على التفاهم والحب والود كلما نجحت الحياة الأسرية وبالتالي الحياة الاجتماعية باعتبار ما للأسرة من أهمية في تكوين المجتمع وإذا كان الرجل هو الدعامة الأولى في بناء الأسرة بما لديه من مقومات شخصية وتمويلية فإن المرأة هي بدورها تمثل المرفأ الرئيس الذي ترسو فيه سفينة الأسرة بكل أفرادها بدءًا من الملاح وانتهاء بكل أعضائها. إن المرأة هي القطب الثاني الذي يشارك الرجل الرأي والمشورة وربما الشخصية والتمويل في بعض الأحيان فضلاً عن القدوة إنها النصف الثاني للرجل وشريك رحلة العمر بما تحمله هذه الرحلة من مسالب وإيجابيات من أفراح وأطراح من آمال ومشكلات فعلى المرأة مثل ما على الرجل من مسؤولية الحفاظ على الأسرة منذ الليلة الأولى للزواج وذلك بالحفاظ على شكل وطبيعة العلاقة فيما بينهما فما هو الدور الذي يراه الرجل للمرأة في حياته شخصيًا إن المرأة مخلوق هام لا يستطيع الرجل أن يحيا حياة سعيدة بدونها أي بالزواج منها وهذا الزواج يجمع الرجل بنصفه الثاني الحلو المريح الذي يؤسس معه شركة الزوجية المساهمة وبدون هذا المشروع الكبير في حياة الإنسان (رجلاً أو امرأة) يظل كل منهما يبحث عن الآخر في كل سلوكه وتصرفاته في واقعه وفي خياله، في صحوه وفي منامه إلى أن يلتقي أي منهما بنصفه الثاني فالرجل مثلاً يظل يبحث عن حبيبته ولا يستقر نفسيًا أو اجتماعيًا إلا بالزواج والارتباط بنصفه الأنثوي الذي يجد فيه الراحة والاستقرار العاطفي كما يشعر

بذاته وبدوره كرجل. إن المرأة الدافئة الحنون التي تمثل النصف الثاني للرجل هي تلك التي تمثل المرسى بالنسبة للزوج ولن يستطيع الزوج الإبحار بسفينة الأسرة إلى مالا نهاية لأن حواء ستكون في نهاية الأمر هي الميناء الذي ترسوا فيه سفينته الجامحة الباحثة فهي الجسر في بحر الحياة العاصف وهي المخلوق الرقيق الحساس الطبيعي الهادئ الذي يستكمل به الرجل طبيعته ويهدئ من فطرته الجموحة المتحفزة وربما الثائرة والمتمردة أحيانًا أخرى وعلى الرغم من الأهمية البالغة التي تمثلها شخصيتي الرجل والمرأة في بناء كيان الأسرة فالحديث عن أسرة يعني إلقاء الضوء على طرفين أساسيين تمثل علاقتهما معًا القضية برمتها هل هما كائنان متحابان بالفطرة متنافران بالطبيعة وما هي طبيعة الصلة بينهما هل يحتاجان لبعضهما بشكل مطلق هل لعلاقتهما معًا دورًا في إضفاء صبغة التوافق والانسجام على العلاقة الزوجية ومن ثم الأسرية هل لأثر علاقتهما معًا دورًا في حالات الزواج الأبدي وما هو دور الرجل في حياة المرأة، وما هو أثر وجود المرأة في حياة الرجل. إن نجاح وتفكك الأسر هو البداية الحقيقية لشكل العلاقة بين كل من الزوجين من بداية دخول عش الزوجية وما هي أسباب ودوافع تفسخ العلاقات بل وتقطعها أحيانًا بينهما بحيث تنهار بيوت ويتشتت أبناء ويفترق الأزواج كل في طريق مجهول ومضني يعاني كلاهما ألم الفرقة والطلاق والضياع وهموم الصغار المفارقين للأب والأم وغير ذلك من مشكلات تضاف إلى حطام الحياة الزوجية المدمرة ولا شك أن ما يعطي للحياة الزوجية صفة الدوام وطول العمر هو أمر يتوقف بشكل كبير على ما يؤديه كل طرف من الطرفين من دور ومسؤولية وإذا كانت مسؤولية الرجل كبيرة فإن مسؤولية المرأة أكبر وإذا كانت صفات وطبائع الرجل وسمات شخصيته تسهم في بناء حياة زوجية سعيدة فإن طبيعة المرأة ومفردات شخصيتها تسهم هي كذلك بالنصيب الأوفر في إنجاح هذه الحياة وزيادة استقرارها فما هي صورة المرأة التي يراها الرجل وما هو الدور الذي يمكن أن

تؤديه وما هو الشيء الذي يحبه فيها. هل هي صورة المرأة الجميلة أو الزوجة الدلوعة الأنيقة في ملابسها المتجددة والمهتمة بزينتها، هل هي الصورة الحلوة فقط، أن هذه الشكليات من الحلاوة والطلاوة وغيرها هي أشياء واجبه ولازمة بل هي جزء لا يتجزء من طبيعة المرأة التي خلقت لتتجمل وهي في بحث دائم عن هذا الدور الذي يمثل طبيعتها وفطرتها وهي غالبًا ما تحققه وتنجح فيه لكنه يا سيدتي الجميلة ليس هو الدور النهائي الذي يود زوجك رؤيتك فيه أن لديه رغبة جامحة في أن يراك أجمل الجميلات لكنه يتمنى أن يراك مبتسمة قبل إعجابه بشكل ولون شفتيك يتمنى رؤية ملامحك منفرجة منبسطة وتقاطيعك سمحة ومتهللة قبل أن يلحظ تجميلك ووجهك الجذاب فروحك هي التي تجتذبه قبل شكلك الخارجي أن الرجل يبحث عنك في وجهك وملامحك في مظهرك وفي أعماقك معًا ومثلما يهمه أن تكوني جميلة وجذابة يهمه بنفس القدر أن تكوني منسجمة سعيدة صافية معه فهو بصفة عامة لا يميل بطبعه إلى تحمل المشكلات والهموم وقد يتأثر لانفعالاتك وما يرتسم على وجهك من غضب فهو مثل الطفل البريء الصغير يحب من يحنو عليه ومن يبتسم في وجهه وينفر ممن يتجهم معه أو ينفعل أمامه خاصة إذا صدرت هذه الانفعالات من زوجته أو أمه أو أخته ولا تتعجبي يا سيدتي وأنا أصفك بالزوجة أو الأم أو الأخت لأن هذه هي الشخصيات التي يمكنك أن تمثلينها له خلال الوقت لأنها أدوارًا في طبيعتك وجزءًا من فطرتك وطبعكِ المغروس فيك لكنك قد تعجزين في كثير من الأحيان عن الكشف عنها واستخراجها من نفسك باعتبارها مواهب مدفونة داخلك إلى حد أنك تؤدينها في كثير من الأحيان بعفوية كاملة بدون معرفة بأهمية دورك الطبيعي على مسرح حياتك الزوجية، ويجب يا سيدتي أن تبحثي عن أنوثتك في داخلك وحتما ستجدينها فلا تخفيها عن زوجك لأنه بحاجة إليها يراها ويحسها في شخصك وفي معاملاتك، وعليك أيضًا بالاهتمام بزينتك وملابسك ونوع العطر الذي تستعملينه وتجديد ملابسك وألوانها دائمًا كما تبدين

في منزلك وأنت في أحلى صورة ممكنة فلا تهملي مظهرك داخل المنزل أو حتى داخل المطبخ حتى إذا ما عاد زوجك للمنزل وجدك في صورة جميلة ولائقة أمام عينيه فالعمل في المنزل لا يمنع يا سيدتي من مزاولة الاهتمام بالذات وبالمظهر لكي تظلي دائمًا متألقة أمام الطرف الآخر فاحرص دائمًا على إبراز نفسك في أحلى صورة دائمة وكوني في داخل منزلك في مظهر جميل لا يقل عن مظهرك خارجه واستمري على هذا النهج سواء كنتِ من ربات البيوت أو من الموظفات وقد تستطيعين بشيء من التركيز والاهتمام تنظيم وقتك بشكل دقيق بما لا يؤثر ذلك على واجباتك تجاه نفسك أو زوجك أو أبناءك سيدتي الجميلة إن علاقتك بزوجك هي أسمى وأرقى علاقة يمكن تصورها فنظمي نفسك على تدعيمها والحفاظ عليها باتباع النصائح سالفة الذكر والتي تتعلق بدورك كزوجة وعشيقة لزوجك أما عن دورك كأم فلا تتعجبي من هذا الدور فلا شك أنك يمكن أن تصبحين أمًا لأبناء والمعاملة مع الأبناء ذات خصوصية ولو استطعت أن تتعاملي مع زوجك بنفس أسلوب تعاملك مع ابنك فتستعملين معه سياسة اللين والرفق والمؤاخاة والمحاباة والحب والتدليل والاستماع الجيد والاقتراب من مشكلته والدخول إلى أعماقه فضلاً عن كتمان سره والعطف عليه وصداقته وأحيانًا قد تستعملين الشدة ولكن ليس بشكل متوتر وعصبي ولكن الشدة بطريق اللين أو في صورة العتاب الرقيق أو الخصام المؤقت والمقاطعة وجميع هذه الأخلاقيات والسلوكيات من معطيات التربية الذكية والجيدة التي تؤتي ثمارها ولو كان دورك مع زوجك بنفس الأسلوب لحققت نجاحًا كبيرًا في هذا الصدد ولعل دورك مع الزوج سيجعل منك دور الأم المركبة لأنك تمنحي زوجك حنان الزوجة الطبيعي فضلاً عن حنان الأم وتضحياتها ويا حبذا لو تعاملت مع زوجك بنفس طريقة تعاملك مع أبنائك فالأم تعني السر والحضن فكوني سر زوجك وحضنه كما أنت كذلك بالنسبة لابنائك فاحفظي سره حتى عليه نفسه ولا تجسدي عيوبه ونواقصه بشكل يثيره

ويستفزه فالكمال لله وحده بل عالجي عيوبه وغيّري من عاداته بصورة رقيقة ولماحة وذكية واحرص يا سيدتي على ألا تذكريه بأخطائه دائمًا وحاولي إهمالها وساعديه على نسيانها قدر المستطاع وذلك بعدم تكرار ذكرها بعد سماعها للمرة الأولى فمن منا لا يخطئ ساعديه بالغفران والنسيان والابتسامة والعفو فلا تعاتبيه على أية تجاوزات غير مقصودة منه وإذا حدث ما يعكر صفو حياتكما وكان هو المتسبب في ذلك فاطلبي منه الجلوس معه واختاري الزمان والمكان المناسب وبعيدًا عن الأبناء ويا حبذا لو كان اللقاء في مكان بعيد عن المنزل أي في مكان عام كحديقة أو نادي حتى يتهيئ الزوج نفسيًا للأخذ والعطاء في الحوار ويتحدث بصدر رحب معك ولن ينجح الحوار بينكما إلا لو أجدت فن الحوار معه الذي يشترط عليك اختيار الكلمات المناسبة والحديث بهدوء وتروي واستحضار ابتسامة عريضة تغلفي بها همساتك بحيث لا يشعر معها أن الحديث مقصود به فتح ملف مشكلة أو معاقبته أو محاكمته أو غير ذلك مما تأباه كرامة الرجل وحساسيته وحتى لا يشعر بالجفاف. في العلاقة أو الدونية أو يحس بعقدة الذنب تجاهك فيفقد الثقة في نفسه وأهمس إليك يا سيدتي أهمس في أذنك بصدق أن العتاب الشديد وكثرة اللوم والضرب على وتر الأخطاء بشكل مستمر يؤلم مشاعر الزوج ويضايقه وينفره من لقائك أو حتى مجرد التواجد معك في أي مكان وبالتالي الهروب من المنزل إلى المقهى أو شلة الأصدقاء تجنبًا لمضايقات المنزل وتوتره. إن زوجك لن يفكر في خيانتك مع أخرى ولو بالنظرة أو التفكير لا لأن من طبيعته الإخلاص والوفاء فقط بل لأنك أصلاً جميلة ولن تفسحي بمقوماتك ومواهبك ومهارتك فرصة له أو ثغرة لدخول امرأة أخرى في حياته يراها زوجك بعينيه التي لا ترى غيرك لأنه متيم بك لأنك مستغرقة في حواسه وفي عقله معًا ولأن دورك ملأ فراغ حياته وعمره وبهذا تنجحين في دور الأم أما الدور الثالث فهو دور الأخت وهو دور طبيعي زودك الله به ومعناه أن تكون علاقتكما مدى الحياة كعلاقة

الأخت بأخيها من حيث الحب والثقة والصراحة والنصيحة والكتمان فالأخ يمكن أن يصادق أخته ويصرح لها بما يضايقه وبما يخجله من البوح به للأم أو الزوجة ولكنه يبوح به للأخت وقد تلاحظ الأخت بعض التصرفات أو الأمور غير الطبيعية وأحيانًا تلفت نظره إليها بذكاء وحب يدون أن تقسو عليه في اللوم أو تعاتبه بشدة بل ربما لفتت نظره ووجهته بشكل لا يشعره بعقده الذنب أو النقص الشخصي وقد يحدث الاختلاف بين الأخ وأخته لكنه سرعان ما يذوب وتحل محله الصداقة وأرجويًا سيدتي أن تكونى أخت وفيه عاقلة مستوعبة ومستمعة وناضجة فتقدمي له بالنصح بصورة ودية بلا انفعال أو افتعال مشكلات جانبية أو إحساس بضيق مثلما يكون دور الأخت تمامًا فهي تحافظ على السر وتكن له الاحترام وطالما إستمرت الزوجة على هذه الحالة المثالية أصبح الزوج كتابًا مفتوحًا لها يفضفض لها بما يخفيه صدره من أسرار عملية وشخصية ونزوات دون خشية من عقابك أو انفعالك وهو يعلم أنك أفضل من يحفظ سره وأنتِ فوق ذلك أي فوق كونك الزوجة المثالية والأم المثالية والأخت المثالية فوق ذلك فأنت المديرة المالية ومركز الإدارة داخل بيتك فالرجل دائمًا يميل عاطفيًا ونفسيًا للزوجة الاقتصادية التي تخفف عنه أعباء الحياة ولا ترهقه ماليًا فيعتبرها الساحرة المبروكة المديرة لأمور المال والقليل يكفيها بينما ينفر من المسرفة اللامبالية المستهترة بحياة زوجها المالية التي تهدر مال الزوج لإشباع رغبة الشراء فقط وتحمله مالا طاقة له به وإذا كان الله قد قال في كتابه العزيز ولا تنس نصيبك من الدنيا فهو قد نبه كذلك إلى خطورة الإسراف حين قال الله عز وجل:- ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ فاكتبي لحياتك ميزانية ونفذيها وحاولي تحقيق النجاح الذي يرضي زوجك فالحياة شركة مساهمة بينكما وأي خير يصيبكما معًا فسوف يكون بفضل إدارتك الحكيمة وتصرفك المتزن. وقد أكون غير متجنية عليك وأنا أحملك تبعة الأسرة بأكملها

فإن نجاحها وإخفاقها بين يديك فتحكمي جيدًا في قيادتك وقودي المركبة بهدوء وصبر وتؤدة وتحفظ وإذا أهيبُ بدورك الفعال ومبادأتك السحرية في تكوين الأسرة وجمع شملها ونجاح سياستها أسأل الله عز وجل لك المقدرة والتوفيق في أداء رسالتك الأبدية التي كلفك الله عز وجل بها منذ بداية الخلق والتي ستظل تلاحقك أبدًا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

obeikandl.com

(٢٠)
المرأة وصورة حية للتضحية والفداء

المرأة هي رمز التضحية والكفاح في كل زمان ومكان فهي اليد التي تعطي وتربي وهي الساعد الذي يعمل من أجل رخاء وبناء المجتمع وبسببها تتكون الخلية الأولى في بناء المجتمعات وهي الأسرة التي تشكل انطلاقًا إلى نهضة ورفعة الأمم وهي كذلك مدرسة تعليم الأجيال وهي المعلمة والمسؤولة وجميع هذه الأدوار التي تتبوأها المرأة إنما تمثل فيها رمزًا من رموز التضحية والإيثار والفداء فهذه الميادين التي تقتحمها هي ميادين عمل وبذل وتضحية ولا بأس فهي تمثل الجندي المتقدم إلى المعركة في كل ميدان منها. إن المرأة هي أصل هذا العالم وديناميكيته لا لكونها الطبيعي العنصر المكون للأسرة وللأجيال ولكن لكونها اليد العليا والقوية البناءة التي تصنع الأجيال وتقوى الهمم والعزائم على مواصلة النضال مع ظروف الحياة ودائمًا تقول عن المرأة أنها الأم والمدرسة التي إن أعددناها أعددنا الشعوب الطيبة الأعراق على ما يقول الشاعر. والتي يشير الدين إلى أن الجنة تحت أقدامها. إن هذه المرأة هي التي خلقت للتضحية ولا شيء غير ذلك فجميع مراحل حياتها هي عطاء دائم وبشكل كبير فالمرأة وقبل زواجها تعطي لأسرتها بقدر ما تأخذ منهم القيم والعادات والتقاليد وهي الأم لأبيها والأخت لأمها وهي الصديقة لأخيها وهي منبع الحب والخير في المنزل. إن دورها في هذه المرحلة هو دور أساسي في الأسرة ذلك أنها تلعب دور المساعد للأم في رعاية شئون الأسرة والأشقاء وحماية الصغار في سن الطفولة والإشراف على تربيتهم فضلاً عن إقبالها على التعليم الذي تتفرغ له للاستفادة وتضحي بوقتها وتجلس إلى محرابه لتتلقى منه المزيد بهدف تحصيل الثقافة وتعميق الوعي الهادف ومجاراة الأحداث الجارية على مستوى العصر واستيعاب منجزاته الحضارية فتسهم هي الأخرى وتدلي

بدلوها في بناء مجتمعها وترسيخ قيم وثوابت الثقافة التي تتسع لتشمل جميع من يحيطون بها من إخوة وأبناء وأقارب وأصدقاء ولا شك أن دور المرأة في تلقي العلم هو نمط من أنماط التضحية لأنها تتلقى العلم لكي تخدم مسيرة مجتمعها عن طريق ما تسهم به في إنجاح أسرتها ومن حولها باعتبارها قدوة لهم جميعًا وعندما تتزوج المرأة تتعمق في ذاتها التضحيات وتصبح في صراع مع الأدوار المتعددة كل منها ينتظرها أن تقدم له الكثير من التضحيات وهي تفعل ذلك راضية وعن قناعة بأن التضحية واجبة عليها فلا تمن بها على أحد لأنها جزء لا يتجزأ من خصالها الطبيعية التي أختصها الله تعالى بها منذ نعومة أظفارها. والتضحية هي عطاء نفسي ومعنوي وجسدي للآخرين دون انتظار مقابل من أي شكل كان والمرأة عندما تضحي لا يكون لتضحيتها حدود تقف عندها ولا تعرف معنى المستحيل في سبيل أن تهب من حولها خدماتها ومجهوداتها في التربية والعطاء والتعليم والغذاء والحياة الاجتماعية وفي حب الوطن الذي هو فرض عليها. إن المرأة مغمورة في الفداء والتضحية لا لأنها تتحمل تبعات جسيمة منذ أن تضع أقدامها على عتبة الزوجية ولكن لأن المرأة بطبيعتها حباها الله بقسط وافر من الجلد والتماسك والإقدام على التضحية والفداء حتى في أقصى الظروف وفي أشد أوقات المحن والمصائب وإذا جاز لنا الحديث عن صلابة المرأة وتضحياتها الجسيمة فلن يسعنا الحديث والكتابة عن دور المرأة الفلسطينية في خدمة قضية بلدها تلك القضية المستفحلة منذ خمسين عامًا وإذا حللنا موقف هذه القضية لوجدنا أن المرأة هي المرتكز الرئيس فيه فهي الأم التي تنجب الأبطال وهي الزوجة التي تشجع الزوج المناضل وهي المضحية بالإنفاق على الأسرة وتحمل تبعاتها عندما يستشهد الزوج دفاعًا عن الأرض المقدسة فمن هي إذن المرأة الفلسطينية وأي تضحية تضحي بها تلك الجبارة المنتمية إلى شعب الجبارين. إن المرأة الفلسطينية تمثل رمزًا كبيرًا للتضحية فمن تضحيتها ببيتها وهو مملكتها الأولى مرورًا بتضحياتها بالأولاد ولدا وراء الآخر وبنتا وراء بنت في سبيل الله والوطن وانتهاءً بالتضحية بأرض

وطنها وترابه الغالي وما يحدث على أرض فلسطين المحتلة في هذه الأيام من أحداث مؤسفة يقشعر لها البدن ويهتز لها ضمير العالم إنما تكشف النقاب عن دور الأم الفلسطينية باعتبارها المرأة الرائدة في مجال التضحية من أجل الوطن. لقد قدمت هذه المخلوقة الحمولة الصابرة الكثير والكثير من أجل بلدها. قدمت أولادها الصغار والكبار وزوجها واحدًا وراء الآخر وجهزتهم لدخول المعركة غير المتكافئة مع العدو ويكفي أن نعلم مقدار ما تتحمله هذه البطلة الصامدة من ضغط نفسي ومعنوي في فقدان أعز مالها في الحياة وهم الأبناء وكذلك الزوج وشريك الحياة ولقد أثبتت نتائج وأبحاث الدراسات الاجتماعية على المرأة في الأراضي المحتلة .. أن المرأة الفلسطينية تعد من أكثر نساء العالم تحملا وقدرة على الصمود، ومن أكثرهم تعرضًا لظروف صعبة ومن أكثرهن ازدواجية في الأدوار إذ أنها تقوم بدور الأب بعد استشهاده وبدور الأم الطبيعي لها فهي تحمل صفات كل من الأبوين لأطفالها وهي كذلك من أكثر نساء العالم مسؤولية عن الوضع المالي لأسرتها فهي التي تعول دائمًا بعد فقدان الزوج بالشهادة أو فقدان الابن الكبير فتضطر إلى الكفاح والنزول لمجال العمل لكي تعول أفراد أسرتها الذين فقدوا عائلهم فمهمة المرأة تتعدى حدود المطبخ والرعاية داخل المنزل إلى العمل خارجه وتحصيل المال لسد رمق الأفواه الجائعة ولتسيير دفة الحياة للأسرة فضلاً عن دورها في مجال الإعداد للنضال فهي التي تهيئ صغيرها بتلقينه حب الوطن والدفاع عنه والخروج في المظاهرات والتصدي للعدو المحتل ولو بالحجارة. وهي التي تعلمهم وتسهم في بثهم قيم الحرية والبطولة والشرف والدفاع عن الأرض وعن الدار وعن العرض وعن شجرة الزيتون المثمرة الخضراء وهي التي تزغرد وتتقبل التهاني من جيرانها والمعزين عندما يأتونها لمشاركتها الأحزان في فقدان ابنها في معركة الحق فنجدها تهلل فرحة والدموع في عينيها بفرحة إستشهاد ابنها أو زوجها في سبيل الله والوطن. ولا شك فإن تعدد أدوار المرأة الفلسطينية ومساندتها للرجل ووقوفها إلى جانبه إنما يبرز بشكل واضح وأسطوري عندما تتحول المرأة إلى ميدان

المعركة وقديمًا كانت المرأة تساعد في الحروب خلف الرجال تسقي العطش وتداوي الجرحى أثناء الغزوات في صدر الدعوة الإسلامية وكان دورها في الحرب يأتي في مؤخرة صفوف الفرسان والمقاتلين لأنها بحكم تكوينها البيولوجي مخلوق ضعيف لا يقوى على النزال وصراع الحرب فاقتصر دورها على مساعدة المقاتلين والمناضلين في نشر دعوة الإسلام وبمرور الوقت تطور دورها فقد أصبحت مجاهدة ومناضلة تقوم بالعمليات الفدائية التي تتناسب معها ويكون لها دور كبير في الكفاح ضد الاستعمار في العصر الحديث ليس أدل على ذلك من كفاح المرأة الجزائرية والدور الرائد للمجاهدة والمناضلة جميلة بوحريد التي مازال التاريخ وسيظل يذكرها باعتبارها صفحة مشرفة للنضال ولكفاح المرأة العربية في سبيل الحرية والاستقلال. وعلى الساحة الفلسطينية ومنذ فترة قريبة انطلقت المرأة العربية في فلسطين في رحلة كفاحها من المنزل والمصنع إلى ساحة الحرب فتطور كفاحها وتضحياتها إلى حد أنها وهبت حياتها فداء لوطنها فلم تمسك البندقية ولم تطلق القذائف. لقد أطلقت جسدها كالبركان ولفلفته بالمتفجرات وارتدت خمارها واندست وسط الزحام وفي التجمعات اليهودية لتثأر وتنتقم وكأنها قنبلة زمنية تنفجر في وجه أعدائها فتقتل وتصيب العديد منهم إن هذه المرتبة العالية من التضحية بالنفس وبهذه الصورة العنيفة هو الحد الذي وصل إليه سقف الكفاح عند المرأة الفلسطينية إضافة إلى فقدان الأعزاء والأحباء فها هي هذه المرأة الجبارة تطالعنا في كل صباح ومساء على شاشات التلفاز وعلى صفحات الصحف اليومية والمجلات تبكي بدموع حارة أقاربها وأخواتها الذين ماتوا أو استشهدوا – بمعنى أكثر دقة – تحت أنقاض وأسقف البنايات والمساكن التي هدمتها قنابل وصواريخ الطائرات الإسرائيلية خلال عدوانها على المدن الفلسطينية أن المرأة الفلسطينية تعيش هذه الأيام في محنة حقيقية ومأساة إنسانية تفوق الوصف والتعبير وكأنها خلقت لتتعذب وتتحمل مالا يحتمله البشر وتعيش في مناخ نفسي بالغ الصعوبة بفقدان من تعاشرهم وترتبط معهم بصلة الرحم والقربى وبفقدان أبنائها الشباب

فماذا يكون شعور الأم التي تطهي الطعام لابنها وتنتظر عودته من المدرسة وإذا بها تفاجئ به محمول إليها جثة هامدة ومستشهد برصاص الإسرائيليين أي قلب هذا الذي ينبض داخل صدر هذه الأم العظيمة التي يعظم شأنها بعظمة الألم الذي يشرخ قلبها المجروح ويعمق جرحها النافذ. فيالها من قدرة على التحمل والصبر والإيمان تلك المقدرة الفائقة والخارقة التي تتحملها هذه الأم الفلسطينية التي تتحمل مقتل فلذات أكبادها صغارًا وكبارًا وأي دموع حارة تزرفها ألمًا ودمًا وحرقة على حطام البيت وجثة الرجل والابن وضياع الحلم وأي غضب بركاني تتفجر به هذه الجبارة الصامدة التي تدافع بأعز ما تملك عن بيتها وحبها ووطنها وقوميتها ودينها عار الاستعمار الصهيوني المتجبر إن المرأة الفلسطينية كيان واحد وشخص واحد متجسد مع النضال ومع منظومة الكفاح حتى النصر أو الشهادة. وهذه المرأة التي قدمت وتقدم الكثير جيلاً بعد جيل هي امرأة حديدية في قوتها صلبة في إيمانها عميقة في تجذرها وثباتها في أرض الزيتون وفي مزارع فلسطين تلك الأرض المقدسة ذات المساجد والكنائس. وهكذا تبدو المرأة في هذه البقعة من الوطن العربي الكبير وهي تعاني من العديد من المشكلات الناجمة عن الاحتلال وما يترتب عليه من حصار وتضييق وحرب وموت ودمار لأسرتها ولوطنها وعليه فقد نسيت هذه المرأة ذاتها ومقومات شخصيتها ومتطلباتها الخاصة. ربما إنها هجرت فكرة الزواج وكرست نفسها لإعالة أسرتها وأخواتها بعد موت العائل أو الأخ الأكبر في سبيل الدفاع عن الوطن وتطالعنا الأبحاث الاجتماعية عن وضع المرأة في الأراضي المحتلة أن الكثيرات من الفتيات تخطين الثلاثين والخامسة والثلاثين عامًا دون أن تفكرن في الزواج لانشغالهن في تربية وإعالة أسرة كبيرة العدد استشهد عائلها في سبيل الله والوطن على يد قوات الاحتلال. كما أن متطلبات المرأة الفلسطينية وثوابت حياتها الخاصة اختلفت كثيرًا في زينتها وملابسها وتطلعاتها عن غيرها من بقية نساء العالم. لقد نسيت هذه المرأة حياة الرفاهية. نسيت الابتسامة، والفرحة نسيت الراحة والانسجام والاستمتاع، وألغت من

قاموسها ألوان الحياة البراقة وأقفلت قلبها وإحساساتها على عشق الكفاح والعنت ومحبة النضال والحرب والصراع على الأرض ضد الغاصب المعتدي وانكبت ترعى أبنائها وتربيهم وتعولهم بل وتعدهم وتجهزهم للكفاح حتى الشهادة أو النصر كما تهيئ نفسها راضية بالحرمان منهم في سبيل تحرير أرض وطنها ومقدساته. وكثيرًا ما نشاهد على الشاشة المرأة وهي تقدم ابنها للشهادة أو تتسلمه جثة تقبلها قبل الدفن. أو تصرخ من شدة الألم أو تقاوم المعتدي الظالم. أو تشتبك في معركة بالأيدي مع قوات الاحتلال لتخليص ابنها أو زوجها من بين أيديهم وهكذا لم يعد دور المرأة الفلسطينية دورًا ثانويًا عابرًا بل أصبحت تقف في الصفوف الأولى من المعاناة والعذاب وحمل السلاح والمتفجرات والسير في طريق الكفاح والنضال وأصبحت تفعل ما يفعله الرجال سواء بسواء فها هي تتفجر بالغضب وتفجر جسدها لتشعل نيران الثورة على المحتل المغتصب لأنها تحمل هموم وطنها ومقدساته وهموم الأحزان والآلام على كل من حولها ابنا كان أو زوج أو أخ أو أخت وها هي تواجه جنود الاحتلال وتصرخ في وجوههم عند المعابر وها هي تدخل في صراع مع القدر الذي جعلها خادمة وحارسة وأمينة على القدس هي وما ملكت من نفس ومال وولد. فأنت يا أيتها المرأة العظيمة القوية الصلبة يا من تقدمين صورة حية ومجسدة لأروع أمثلة التضحية والفداء. تحية عظيمة لكِ ودعوة مخلصة لله أن يعينك ويسدد خطاك على درب النصر القريب بإذن الله يا أيتها المرأة المعجزة يا أيتها الصورة الحية للتضحية والفداء ..

(٢١)
الحب والكراهية

الإنسان ملخوق يحب ويكره وبين الحب والكراهية تتأرجح دوافعه ومشاعره فما يروقه ويرضى عنه ويحبه هو بالنسبة له الشيء المحبب الذي يتحدث إليه ويذهب إلى مكانه ويتعايش بجانبه وهو يتجه نحوه بدافع الحب وهو في ذات الوقت يحمل شعورًا بالكراهية للأمور التي لا يرضى عنها أو يشمئز منها أو لا تروق له، وعلى هذا النحو تتقلب حياة الإنسان بين الحب والكراهية فالإنسان لا يحيا بشعور واحد فقط وإلا لما كان للحياة معنى أو هدف فالحياة الإنسانية لا تستقيم لشخص يحمل في قلبه وعلى الدوام شعورًا بالكراهية تجاه الأشياء وإلا لكان ذلك من قبيل الشذوذ والانسحاب من المجتمع كما أنه لا يستطيع من جانب آخر أن يمارس شعورًا بالقبول والارتياح الشديدين وبالحب الدائم تجاه العالم وإلا لما كانت هناك مستويات لشعور الفرد تجاه الواقع الذي لا يمكن أن يكون دائمًا في حالة قبول والعكس صحيحًا فالحب والكراهية هما الشعوران اللذان يمثلان دافعان للإنسان في كل زمان ومكان. ومنذ أن خلق الله العالم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فالإنسان مخلوق عالمي والعالم مليء بوجوه الخير والشر فليست كل الأحداث تبشر بالخير العميم وليست جميعها تنذر بالشر والخطر القادم لكن الإنسان أحيانًا ما يتعرض لهذه أو تلك وبالتالي تظل دوافعه ومشاعره متأرجحة ومتباينة من آن لآخر بين شعوري الحب والكراهية لكن هذان الدافعان ليسا ثابتين في الإنسان فقد يتغيرا بحسب الشخصية والمستوى العمري والبيئي إذ قد نكره بعض الأشياء ونتمنى ألا نراها في وقت أو في سن معينة بيد أن مشاعر الكراهية حيالها قد تتغير في وقت لاحق وقد نتمناها إلى حد أن المثل السائد يقول :- "ما حب إلا بعد كراهية"

وهكذا بين شعوري الحب والكراهية تسكن المشاعر الشخصية للإنسان وهي مشاعر متغايرة لا تثبت عند حال بشكل دائم فقد نكره إنسانًا بعينه لصدور أفعال أو تصرفات لا أخلاقية منه أو غير مقبولة لنا وقد نميل لإنسان آخر لكونه خلوقًا ومهذبًا وملتزمًا أو لقبوله لدينا نفسيًا فأنت قد تكره إنسانًا لعدوانيته وتصادميته بينما تحب من يتفق معك في حين تكره من يختلف معك في الرأي في حين أنك لا تعّول على مدى صواب أو خطأ رأيك أي مدى موضوعيته وتحقيقه للصالح العام أو المصلحة الشخصية وهكذا فالحب والكراهية عاطفتان تُمثلان دافعان إنسانيان من الدرجة الأولى وعن طريقهما يتعامل الإنسان مع العالم من حوله. ولا يقف الأمر على ممارسة هذه العواطف والدوافع عند حد الأفراد فحسب بل يتعدى ذلك إلى القيم والاتجاهات الشخصية التي تختلف حبًا وكرهًا بين مختلف الأشخاص بل والشعوب كذلك فنحن نجد أن الاتجاهات العقائدية والفكرية تختلف من مجتمع لآخر بحسب الاتجاهات الأيديولوجية التي تسود بعض المجتمعات فهناك العديد من المجتمعات مثل الرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية وغيرها وفضلاً عن ذلك تفرض العقائد والاتجاهات الاجتماعية والتقاليد والعادات الموروثة نمطًا من دوافع الحب والكراهية أو مشاعر القبول أو الرفض.

وهكذا تتقلب حياة المرء بين أشياء يحبها وأخرى يمقتها ولما كان الإنسان إنساني بطبعه يميل إلى حب الذات بشكل عام فالحب هو قيمة إنسانية عظيمة لكونه أصل الإنسان وفطرته وبدونه لا يصبح للحياة الإنسانية معنى أو فائدة. وعاطفة الحب أو شعور الحب هو القاسم المشترك بين جميع الكائنات وبدون حب لا يمكن تصور حياة اجتماعية أو إنسانية بأي شكل من الأشكال، وللحب صور كثيرة ومتعددة أسماها وأعلاها هو الحب الأفلاطوني المطلق وأدناها حب الذات أو النرجسية التي تسمى بعبادة الذات وبين هذين النوعين من الحب تقع كل الأنواع الأخرى من الحب. وحب الآخرين معناه أن يتنازل

المرء عن جزء من محبته لذاته عندما يحب الآخرين أو يدخلهم في دائرة اهتماماته وقبوله وعليه فهو لا يدخل في دائرة هذا الحب إلا كل ما يتعلق به هو شخصيًا من أشياء يحبها ويرغب فيها أو كل شخص يهواه شخصيًا أو يرتاح إليه بصفة خاصة وفي هذه الحالة الأخيرة يتنازل الإنسان عن جزء من حبه لذاته ويوجهه تجاه الآخر لأن حب الذات لنفسها يكون حبًا كليًا وكبيرًا فاتجاه الحب نحو الآخر يعني أن المرء يختص الآخر بجزء من فعالية حبه لذاته أو يوجه صوبه مشاعر معينة من جملة المشاعر التي يحتفظ بها لذاته وعليه يصبح حب الآخرين تنازلاً وعطاء أو تضحية بالذات في سبيل الآخرين أما دوافع الحب تجاه الأشياء فما هي إلا أهواء وميولاً شخصية ترضى مزاجنا الخاص ومشاعرنا الجزئية الفردية التي تتوق إلى محبة واستحواذ الأشياء والهوايات والاتجاهات التي تقع في دائرة ميلنا الخاص ومزاجنا الفردي فبين الإنسان وقرينه فروقًا فردية خاصة ودقيقة تكشف عنها الدراسات النفسية بحيث لا يمكن أن نجد شخصيتين متماثلتين تمامًا في ميولهما واتجاهاتهما الشخصية أو حتى في عواطفهما تجاه العالم الخارجي لأن لكل فرد شخصيته ذات الأبعاد والسمات الخاصة التي تختلف من فرد لآخر.

ومشاعر الحب والكراهية تجاه الآخر هي مشاعر طبيعية في الإنسان يولد الشخص وهو مزود بها فالطفل الصغير يمكن أن يحب أشياء ويكره أخرى سواء في المأكل والمشرب أو حتى في تعاملاته مع الأشخاص الذين يلاعبونه أو يمزحون معه وهكذا تبدو مشاعر الحب أو الكراهية في طبيعة الطفل الصغير وعندما يكبر تضاف إلى مشاعره الطبيعية عوامل النشأة والتربية والبيئة وهذه العوامل تؤثر بشكل كبير وفعال في تربية وتنمية مشاعر الحب والكراهية لدى الطفل أو الشاب في مرحلة الصبي والشباب ذلك لأن تربية الطفل تلعب دورًا رئيسيًا في غرس قيم وعادات معينة عن طريق الميل إليها أو النفور منها بحكم العادة والتجربة والمران وبحكم الثواب والعقاب وغير ذلك

فتنشأ الشخصية إثر عوامل التربية متأثرة بمصادرات وتداعيات التربية سواء كانت متحررة أو منغلقة متزمتة وسواء كانت قد تأثرت باتجاهات البداوة أو التحضر أو بالقيم الغربية أو الشرقية أو بالقيم الدينية أو المنحلة وغير ذلك. وعليه يتوقف نمو مشاعر الحب والكراهية تجاه العالم من خلال أسلوب التربية ومدى ما يحققه هذا الأسلوب من فاعلية وأثر على الطفل أو الصبي أو الشاب. وتلعب الأسرة دورًا خطيرًا في تكوين اتجاهات ومشاعر الحب والكراهية كما أنها من بين العوامل التي تسهم في تكوين هذه الدوافع وتعمل على تغذيتها وتنميتها بحكم الممارسة والعادة والتربية ويأتي بعد الأسرة أثر البيئة والمجتمع لأنه يمثل البعد الثاني في تكوين مشاعر الحب والكراهية لدى الشخص فإذا كانت الأسرة تمثل المحور الأول والداخلي في تكوين الدوافع المكتسبة لديه فإن البيئة والمجتمع إنما يمثلان البعد الثاني الذي لا يمكن تغافله والتغاضي عنه أثناء تكوين دوافع الشخص المكتسبة لأن الأخير يسهم بدور وافر في تربية وتنمية العادات والسلوكيات التي تشجع دوافع الحب والكراهية وتبثها داخل وجدان الفرد الذي ينتمي إلى ذات المجتمع إن الحب والكراهية من الدوافع الإنسانية الأساسية داخل الشخصية فلا يمكن تصور كائن ما كان إلا وتكمن في طبيعته هاتين العاطفتين لأن مدار الحياة يدور بين رحاهما فمرة نحب وأخرى نكره ولكن نحن لا نحب بصفة دائمة ولا نكره بنفس القدر وذلك لاختلاف تربيتنا ونشأتنا وظروفنا ومجتمعاتنا وكذلك لاختلاف قيمنا وعاداتنا وسلوكياتنا فضلاً عن الموروث الثقافي لكل مجتمع من المجتمعات وغير ذلك من أمور ولاشك فإن ديناميكية الحياة وصيرورتها وما تنطوي عليه من فعل وانفعال أو سلب وإيجاب إنما تدور وجودًا وعدمًا في قالب هاتين العاطفتين أو الدافعين اللذين يشكلان الكل الإنساني إن صح هذا التعبير. والإنسانية برغم ذلك تحاول جاهدة أن تدفع بمشاعر الحب في اتجاه ما يستحق الحب والتبجيل والتقدير من قيم ومثل عليا ومبادئ إنسانية راسخة وتجعل مشاعر الكراهية

ودوافعها بمثابة خط هجوم على كل الأساليب الدنيئة والخسيسة التي تتلاعب بمقدرات الإنسان وتحارب قيمة ومبادئه وتكيل له الحروب والدمار والآلام في كل زمان ومكان ونحن هنا ومن على منبر الكلمة الصادقة الهادفة ندعو الله عز وجل أن ينمي دوافع الحب فينا تجاه كل ما هو حق وخير وجمال لنا وللإنسانية جمعاء عملاً بقول الحق في كتابه العزيز الحكيم ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾ كما قال لرسوله الأمين ﷺ ﴿ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾.

obeikandl.com

(٢٢)
الحرب والطبيعة والإنسان

الإنسان مخلوق محارب أو مناضل فقد حارب الطبيعة ووقف ضد طغيانها منذ بداية التاريخ فشق الترع وبنى الجسور والسدود لصد طغيان المياه وفيضانها كما نحت في الصخر في سبيل تأمين مغاور وكهوف له تحميه من أخطار الحيوانات الضارية، وصارع كذلك ضد عدوان الحيوانات المفترسة التي كانت تهاجمه وتعتدي عليه منذ فجر التاريخ مثل حيوانات الماموث القديمة الضخمة الجسم وكذلك الطيور الجارحة ذات الأشكال الغريبة وغيرها. ومارس الإنسان الحرب كذلك من أجل أرض يتملكها ويدافع عن ملكيته لها ضد عدوان جاره الذي يسكن بجواره – كما حارب من أجل الاعتداء على أرض غيره للاستحواذ عليها وضمها إلى أرضه وممتلكاته مؤمنًا أنها حق مطلق له رغم انتزاعه لها من غيره وضمها لملكيته هو، وحارب الإنسان كذلك في سبيل تحقيق ذاته وإبراز قوته، كما حارب في سبيل الدفاع عن عقيدته ووطنه، وشرفه وعرضه وأرضه، كما حارب لنصرة صديقه وجاره. والتاريخ الإنساني يحدثنا عن الحروب بشكل تفصيلي فكأنها جزء من طبيعة الإنسان وفطرته فهل حقيقة تعد الحروب جزءًا من طبيعة الإنسان وفطرته منذ بداية الخليقة ومنذ أن حارب قابيل أخاه منذ فجر التاريخ. لا شك أن الحرب قرينة الإنسان وصنيعته لكنها لا يمكن أن تكون في دائرة اهتمامه دومًا وإنما تمليها عليه الظروف ولما كانت الحياة الإنسانية تتسع لدوافع الخير والشر بنفس القدر ومنذ بداية الخلق فإن تداعيات الشر تُلزم الإنسان بإعلان الحرب وشنها للأسباب سالفة الذكر. وتظل طبيعة الحرب فطرة في الإنسان يسعى لها في اتجاهين أحدهما إيجابي الغرض منه محاربة المادة الصماء الجامدة والصراع معها للتكيف مع البيئة من خلال

عالم مضني وشاق يلزم تطويعه وترويضه لمصلحة الإنسان والارتقاء به وإبراز الدوافع الفنية والجمالية في أعماق النفس الإنسانية. واتجاه سلبي: الغرض منه الانسياق وراء فطرة الإنسان وممارسة غريزة حب التملك بالاعتداء على ممتلكات الآخرين وإثارة الصراع الذي ينتهي إلى حالة الحرب. وعندما أعلن الإنسان حربه على الطبيعة كان بسبب مُبادئة الطبيعة بشن الحرب عليه في صورتها القاسية وظواهرها العنيفة من سيول مغرقة وجفاف حارق وفيضانات مُهلكة كانت تُغرق الأرض وتقتل الزرع وتهدم العمران فضلاً عن الصواعق والزلازل والبراكين وما شابه ذلك من مظاهر كونية خارقة وفوق قدرة تحمل الإنسان. إن هذه المظاهر الطبيعية المتقلبة والعاتية نمّت في النفس الإنسانية منذ بداية الخليقة الشعور باليقظة وسرعة المبادأة والاستعداد فضلاً عن الاندفاع والتقدم ومحاربة الأسباب التي تدمر حياته ووسائل معيشته وفي ضوء ما سبق فقد تفاعل العقل الإنساني مع الإرادة الفاعلة في بناء السدود ومحاولة التصدي لقهر العالم الطبيعي وتحدياته بالتحايل على البيئة الطبيعية بالبناء تارة وبالحرب والصراع تارة أخرى ولقد أدت مواجهة الإنسان للبيئة بكل شمولها واتساعها من عناصر طبيعية وإنسانية إلى زيادة نسبة الذكاء وتصاعد مهارات التفكير لديه فإذا به منذ فجر التاريخ يفكر في الاختراع والخلق وقاده ذلك إلى الصناعة فاخترع آلات الحرب وآلات البناء وكانت على شكل أدوات بسيطة وبدائية صنعها من المواد والمعادن المتوفرة في البيئة من حوله من أحجار ومعادن وكذلك الانطلاق للقضاء على خطر الحيوانات المعتدية عليه عن طريق حفر أو شق حفر عميقة بحجم جسم الحيوان المراد اصطياده والإيقاع به ثم يغطيها بأوراق الشجر الخضراء. ويهيل عليها بعض الرمال فإذا ما سار الحيوان المفترس فوقها سقط فيتمكن البدائي من قتله أو الإطاحة به وهو في مأمن من شره وخطره المحدق به. وهكذا تفتحت عقلية الإنسان البدائي وتيقظت حواسه مع مفاجآت وظروف البيئة المحيطة به مما دفعه إلى التفكير في حيل

مختلفة لدرء خطر الحيوانات والتصدي للأعداء. ولا غرو عندما نذكر أن الإنسان أصبح فنانًا منذ إعلان حربه على الطبيعة وعلى قرينه من بني جنسه ولعل السبب في ذلك هو أن الصراع مع الطبيعة ينطوي على آلية الفعل والحركة وهما معًا يكونان ديناميكية العمل الفني الذي يتمثل في الفعل والحركة وردود أفعالهما. فالنضال في سبيل تطويع البيئة وتجهيزها وإعادة صياغتها بشكل مناسب وصالح لحياة الفرد وخدمته وتيسير سبل معيشته هو نضال صعب وضروس فماذا يعني ترويض الطبيعة لصالح الإنسان؟ وماذا يعني تمهيدها للحياة الإنسانية. معناها الفعل والحركة والأداء وهم يمثلون جنود النضال المجندين وأدوات الحرب ضد غلواء الطبيعة الخارجية وجمودها وصلابتها وعنفوانها أحيانًا وجموحها أحيانًا أخرى فمعنى معايشة الإنسان لبيئته وممارسته لحياته العادية وسكنه في مسكن مناسب، وزراعة الأرض بنبات مناسب وإيجاد صوامع لتخزينه لوقت الحاجة. وحجز الماء في السدود. وقهر عناصر العدوان في مظاهر الكون بالاحتماء منها أو الوقاية من خطرها مثل الأعاصير والسيول والفيضانات وصناعة الأدوات من مواد البيئة المحيطة كل ذلك إنما يؤدي إلى الفعل والأداء فجميع ما يصنعه الإنسان هو صناعة تدخل في باب الفن والأداء والتنفيذ وتطويع المادة الخام الصلبة العنيدة هو قهر لعنادها وتغلبًا على طبيعتها للإتيان بشكل يتناسب مع مصلحة الإنسان هو فنُ إنساني يتم بتدخل إرادة الشخص وفعله المبني على فكر دؤوب وحيلة مدروسة. وهكذا يُربي الإنسان الطبيعة من حوله ويكيفها حسب مأكله ومسكنه وملبسه وحمايته فيحفر الأرض، وينحتُ الصخر ويتحدى بيداه وعقله جبروت المادة الصماء في الجبال والصخور والوديان لكي يحكم السيطرة على عالمه ذي الطبيعة الهادرة الجارفة الوعرة إن هذه المشاهد والخبرات – سالفة الذكر – هي ضرب من ضروب الفن طالما كان الفن عمل وفعل وأداء في شكل حرب ونضال ضد المادة. إن أداء الإنسان الأول الذي يبرز في طريقة تناوله للأشياء

في العالم الطبيعي من حوله إنما يشير بوضوح إلى الأدوات والآلات التي استخدمها الإنسان في ذلك التاريخ من أدوات صيد ومواد استعماليه شخص قام بحفرها أو نحتها أو تصويرها كل ذلك إنما يكشف عن الدافع الفني في الإنسان فالدوافع الإنسانية تكشف عن نفسها تباعًا وبمساندة بعضها البعض فعلى سبيل المثال نجد أن أدوات الصيد التي كان يستخدمها البدائي من أقواس ورماح وسهام وعصي وغيرها من أدوات تميزت بطابع فني عكس الحس الفني والشعور الجمالي لدى الإنسان القديم كما أن أدوات الطعام من الصحاف والقنينات والمواجير وغيرها كانت تتميز هي الأخرى بأشكال وألوان فنية وكان شكل المسكن وطريقة بناءه تدل على مهارة في الطبيعة والأداء وكذلك كانت طريقة حفر المغاور والكهوف للمأوى أو للاحتماء من خطر الحيوان الضاري. ولقد تجلت العلاقة بين الحرب والفن والإنسان من خلال علاقة الإنسان بالأرواح الشريرة فقد كانت عبادة الأرواح والخوف من بطشها تتم عن طريق الرسم اليدوي على جدران الكهوف والمغاور التي يسكنها الإنسان ذلك أن الخشية من عدوان الأرواح الشريرة وإلحاق الضرر بالإنسان دفعه لرسم الحيوانات على جدران المغاور والكهوف تقربًا منها وظنًا منه إنها تتسلل إليه في الظلام بغرض إيذائه ولكن مشاهدتها لصورها على الجدران يدفعها لحب المكان وصداقة من يعيشون فيه فكان الإنسان القديم يرسمها تقربًا منها ودرءً لخطرها على حياته. وكانت الألوان التي لونها بها جذابة وقوية تحدت الزمن وحفظت أكاسيدها حتى اكتشفها الرحالة والباحثون فكشفت عن جمال وروعة الألوان التي توصل لها الإنسان في هذا الزمن المبكر من تاريخ العالم.

ولم يكن المقصود بهذه الواجهة الفنية في قديم الزمان هو الفن في ذاته بقدر ما كان المقصود بها الأداء الكامل لطقوس وأشكال العبادات والتصورات البدائية بغرض تأمين الذات في حلقة الصراع والحرب الموصولة مع العالم الطبيعي بمظاهره وحيواناته وأسراره بشكل عام. وبقدر ما كان الفن نتاج الحرب

والعنت الإنساني كان السلام والأمن نتاج هذه الحرب التي يشنها الإنسان ضد الآخرين ولمصلحته فمرة ضد الطبيعة وأخرى ضد الحيوان وثالثةً ضد الأرواح الشريرة. وأحيانًا يشن الحرب ضد قرينه الإنسان بسبب الحاجة للمال أو الأرض أو الماء أو الكلأ أو غيرها من متاع الأرض. ومنذ فجر التاريخ والإنسان يصارع المادة حوله في كل اتجاه بغرض تكييف الواقع وتوظيف الأدوات الطبيعية للارتقاء بحياته وكانت له مع كل جولة من جولات الحضارة موقفًا ومعركة فحين بنى منزله كان يدخل في صراع مع المادة الصلبة سواء تمثلت في الصخور أو الأحجار الجيرية أو حتى في صناعة الطوب اللبن أو أغصان الأشجار وسيقانها وفي كل مرحلة من مراحل الحياة الإنسانية للفرد يجد نفسه في لقاء حاسم مع الطبيعة أو البيئة فإما ينتصر عليها وأما يظل في العراء ينام على الأرض ويلتحف السماء وكان عليه أن يخوض معركة النصر على جمود المادة وعنفوانها وصلابتها فإذا به يخترع الأدوات التي تكفُلُ له استعمال وتقطيع أو تجزئ عناصر الطبيعة وإعادة تكوينها بشكل مناسب له، فعرف الصناعة البسيطة، ومن الحرب انبثقت الصناعة التي ظهر الفن من خلالها معبرًا عن قدرة الإنسان الخلاقة والمبدعة ولا جدال فقد تطور الموقف الوجودي للإنسان أي الموقف الذي يقفه الفرد في مقابل الوجود إلى مواقف ثلاثة هي : موقف الصراع (الحرب) وموقف الفعل والمواجهة (الصناعة اليدوية) ثم موقف

السيطرة أو إحكام قبضته على غلواء الطبيعة وطغيانها على الإنسان فمن المواجهة إلى الفعل إلى السيطرة عن طريق الخلق الفني (اليدوي) الذي يؤديه الإنسان بغرض حفظ حياته وصيانتها وتأمينها ضد الأخطار المحدقة بها فالإنسان دائمًا مخلوق مواجه والمواجهة قد تعني صراعًا فهي ليست استسلامًا أو تسليمًا في كل الأوقات لأن الله قد خلق الإنسان في كبد، كما قال في كتابه

العزيـــز وإن الإنســـان لـــن يعمـــر الكـــون ولـــن يـــنهض ويكســـب رزقـــه إلا بالعرق وبالكفاح والعنت وهذه المواجهة بين المرء والعالم هي مواجهة تعني إما التسليم وإما الصراع وفي الغالب الأعم من الأحوال يظل الصراع هو سيد الموقف لأن الإنسان خُلق ليعمر الكون ويرتفع بشأنه فتحدث حالات الصراع مع البيئة ذلك الصراع الذي لا يتوقف عند حد صراع الإنسان مع البيئة بشكل خاص وفردي وهو ما يمثل الصراع العادي الذي يمارسه كل أفراد النوع لتسخير الطبيعة لخدمة مصالحهم ولكنه يتعدى ذلك إلى الصراع بين الأطراف التي تعيش داخل العالم (البيئة) صراع على ما يمكن اغتنامه من خيرات ومكتسبات ولو كان على حساب الآخرين وبسبب مطامع الإنسان وشهواته تنشأ الحرب التى تمثل صراعًا بين طرفين أو أكثر للحصول على أكبر غنائم ممكنة وقد تدرجت هذه المطامع مع الإنسان منذ أقدم عصور التاريخ فمن الصراع على البئر إلى الصراع على أماكن الزراعة والرعي والكلأ إلى الصراع على الأرض والممتلكات إلى أن أصبح الصراع – حديثًا – على موارد الثروات وموارد المياه والأرض أي أصبح – في الوقت الراهن – صراعًا استراتيجيًا عالميًا وصراع الإنسان لا ينتهي طالما بقيت فيه شهوة التملك وتملّكته نزعة الشر وإذا فتحنا صفحات التاريخ لاطلعنا على زخم من الصراعات والحروب بين بني البشر على الأرض والسلطة والمال والجاه فالصراع موجود وقائم وواحد رغم تعدد وجوهه التي تنجم عن اختلاف ظروف وطبيعة العصر، وهو سمة إنسانية وطبيعة مغروسة فينا فطر الله الناس عليها عندما وضع في نفوسهم دوافع الخير والشر وقد علم الله سبحانه وتعالى بخلقه فقال في كتابه العزيز :– "ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها" وهكذا يبدو حالاً الفجور والتقوى في دافعي الشر والخير بين الناس، ويظل الصراع قائمًا بينهما دومًا متبديًا في صور الاختلاف والنزاع والحروب التي عاش فيها الإنسان وعرفها

منذ فجر التاريخ وسيظل مستغرقًا فيها ودائرًا في رحاها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

obeikandl.com